

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على رسولك محمد خير الأنام والذي بعثته
رحمة وهدى للعالمين .

تأتي هذه الدراسة لإبراز دور فقهاء المالكية السياسي والحضاري في دولتي
مالي وُصْنُفي (١٠٠٠-٦٢٨هـ / ١٢٣٠-١٥٩١م) حيث كان لهؤلاء الفقهاء دور مهم
في بلاد السودان الغربي ، وقد بدأ هذا الدور في زمن دولة مالي واستمر في دولة
صُنْفي ، لا سيما في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية . فقد كان لهؤلاء الفقهاء
جهود عظيمة في مجال نشر الإسلام والثقافة والعلوم الدينية واللغة العربية ، كما كان
لهم و على مدي أربعة قرون في دولتي مالي وُصْنُفي الإسلاميتين أثر كبير في التطور
الحضاري والاجتماعي الذي طرأ على هذه البلاد ، إلي جانب جهودهم في المجال
السياسي إذ شاركوا في إدارة البلاد من خلال تولي الخطط الدينية.

أسباب اختيار الموضوع :

يرجع اختيار موضوع الدراسة إلي عدة أسباب أولها قيام فقهاء المالكية بدور
مهم في حضارة بلاد السودان الغربي في العصر الإسلامي وقد استمر هذا الدور
لهؤلاء الفقهاء في تلك البلاد حتى بعد سقوط دولة صُنْفي علي يد السعديين في ٢٠
رجب ١٠٠٠هـ / ١٣ مايو ١٥٩١م ، ومن أجل إبراز هذا الدور لفقهاء المالكية في
بلاد السودان الغربي ، كانت أهمية هذه الدراسة . وثاني هذه الأسباب هو أن المذهب
المالكي يُعد من المحاور الرئيسية التي قام عليها مجتمع بلاد السودان الغربي في عهد
دولتي مالي وُصْنُفي ، وكان لهذا المذهب من خلال فقهاه دور في مناحي الحياة كافة
في هذا المجتمع . فكان على الباحثة إبراز هذا الدور . أما السبب الثالث والأخير هو
أن فقهاء المالكية قد حظوا بدراسات في بلاد المغرب والأندلس ، لكن لم يتطرق

الباحثون إليهم بدراسة متكاملة تبرز دورهم في مناحي الحياة كافة في بلاد السودان الغربي .

ولأهمية هذا الموضوع أفردت الباحثة هذه الدراسة لتكون مكملة للدراسات التي قدمت عن دولتي مالي وُصنغي في التاريخ الإسلامي .

الفترة الزمنية للدراسة :

بدأت الدراسة بقيام دولة مالي الإسلامية عام (١٢٢٨هـ / ١٢٣٠م) حيث شهد المذهب المالكي في عهد هذه الدولة الانتشار والذيعوع ، وأصبح المذهب الرسمي لهذه الدولة . وامتدت الفترة الزمنية للدراسة إلي فترة سيطرةُ صنغي الإسلامية علي السودان الغربي حتى سقوط هذه الدولة عام (١٠٠٠هـ / ١٥٩١م) وذلك لان المذهب المالكي تحققت له السيادة خلال عهد هذه الدولة .

وقد قسمت الباحثة الدراسة إلي تمهيد و خمسة فصول وخاتمة .

في التمهيد والذي عرض لبدايات ظهور المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي . عرضت الباحثة للمذاهب والفرق الإسلامية التي كان لأصحابها جهود في نشر الإسلام ، وكيف انتهى الأمر في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بانتصار المذهب المالكي حتى أصبح المذهب الوحيد لأهل هذه البلاد .

ثم جاء الفصل الأول بعنوان : مراحل انتشار المذهب المالكي في السودان الغربي ، وقد بدأت الباحثة بعرض مرحلة ذيعوع وانتشار المذهب المالكي في دولة مالي، ثم تطرقت إلي عرض مرحلة سيادة هذا المذهب في دولةُ صنغي .

أما الفصل الثاني والذي كان عنوانه: عوامل انتشار المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي فقد تناول العوامل الداخلية ، والتي تمثلت أولاً في تغلب المذهب

المالكي علي غيره من المذاهب والنحل الإسلامية الأخرى وثانياً ملاءمة هذا المذهب لطبيعة أهل السودان الغربي ، وثالث هذه العوامل الداخلية ما يتمثل في دعم السلطة الحاكمة للمذهب المالكي . ثم عرضت الدراسة العوامل الخارجية وتحديداً منها ما يرجع إلي سيرة الإمام مالك إمام دار الهجرة ، والتأثير المغربي ، ورحلات الحج ، والرحلات العلمية .

وفي الفصل الثالث وعنوانه : فقهاء المالكية والحياة السياسية في بلاد السودان الغربي تناولت الدراسة علاقة هؤلاء الفقهاء بالسلطة والتي تأرجحت بين علاقة صداقة تارة ، وعلاقة عداء تارة أخرى ، وذلك من خلال عرض علاقة فقهاء المالكية والعرش في دولة مالي ، ثم علاقة فقهاء المالكية والعرش في دولة صُنغني . وتناول هذا الفصل أيضاً الدور الذي قام به فقهاء المالكية في إدارة الدولة من خلال الخطط الدينية التي تولوها مثل خطة الكتابة ، وخطة القضاء والفتيا ووظيفتي الإمامة والخطابة .

وجاء الفصل الرابع وعنوانه : فقهاء المالكية والحياة الاجتماعية في بلاد السودان الغربي ، وفيه تناولت الباحثة الجذور الإثنية لفقهاء المالكية ، ومكانة هؤلاء الفقهاء الاجتماعية بين طبقات المجتمع ، ثم دور فقهاء المالكية تجاه العادات والتقاليد ذات الأصول الوثنية ، وأخيراً فقهاء المالكية والاحتفالات الدينية .

وفي الفصل الخامس والأخير والذي كان عنوانه : فقهاء المالكية والحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي عرض هذا الفصل للتكوين العلمي والثقافي ، ثم الدور التعليمي لهؤلاء الفقهاء وإنتاجهم العلمي والثقافي ، وأخيراً الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء مالكية بلاد السودان الغربي وفقهاء مالكية المغرب ومصر والحجاز .

وجاءت خاتمة الدراسة التي عرضت لأهم النتائج التي توصلت إليها.

وقد اعتمدت الباحثة في إعداد هذه الدراسة علي العديد من المصادر الأصلية والتي تتصل بموضوع الرسالة منها المخطوطات ، والمصادر المطبوعة ، والتي تمثلت في مصادر تاريخية ، ومصادر جغرافية ، ورحلات ، ومصادر تراجم وطبقات ، ومصادر فقه ونوازل، بالإضافة إلي المراجع الحديثة العربية والمعربة ، وأيضا المراجع الأجنبية .

أولاً الوثائق والمخطوطات:

اعتمدت الباحثة علي عدد من المخطوطات والوثائق لعلامة صُنغي أحمد بابا التنبكتي المتوفى عام (١٠٣٦هـ/١٦٢٧م): منها "إجازة منه للإمام أبي الفضل بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي" وهي وثيقة بالخزانة العامة بالرباط ، مجموع رقم ٣٦٩٣. (وهي إجازة من أحمد بابا بن أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت، كتبها للشيخ عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم (الحاحي)، بتاريخ ١٣ ذي القعدة عام ١٠٠٨ / ١٦٠٠). وتبرز هذه الإجازة حرص فقهاء المالكية علي نشر العلم ، كما تبين المقررات والكتب المعتمدة في الدراسة .

كما اعتمدت علي "إجازة للخطيب أبي زيد الوقاد التلمساني" وهي وثيقة بالخزانة العامة بالرباط ، مجموع ٣٦٩٣. وهي إجازة من أحمد بابا إلي القاضي ابن الوقاد عبد الرحمن بن محمد التلمساني نزيل تارودانت بالمغرب الأقصى بتاريخ يوم الاثنين ١٣ ربيع الآخر عام ١٠٠٧هـ/١٥٩٨م وهي مطولة وعامة. ولأحمد بابا إجازة أخرى للمجاز ابن الوقاد، وهي خاصة بكتاب الشفا للقاضي عياض.

كما أفادت الباحثة أيضا من مخطوطة أحمد بابا بعنوان "أمثلة إلي علماء مصر" وهي مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس ، مع مجموعة رقم . ARABe:٥٣٨٢. وكان قد أرسلها أحمد بابا إلي علماء مصر في بعض الأمور التي أشكلت عليه ، وكان قد كتبها عام (١٠١٤هـ/١٦٠٥م) ، وبلغت واحدا وعشرين سؤالاً تدور حول أمور

متعددة . وتبين هذه المخطوطة عمق الصلات التي ربطت فقهاء مالكية مصر بفقهاء مالكية صُنغي .

وأفادت الباحثة أيضا من مخطوطة " أسئلة في المشكلات " وهي مخطوطة بالخرزانة العامة بالرباط مع مجموعة رقم ٤٧٠ من الورقة ١١٨ ظ إلى الورقة رقم ١٤٠ و . (وكان قد أرسلها أحمد بابا بعد أن كتبها قبل عام (١٠١٠هـ / ١٦٠١م) إلي مفتي المالكية في مصر نسالم السنهوري المتوفى عام ١٠١٥هـ / ١٦٠٦م) وتحتوي علي ستة وثلاثين إشكالا فقهياً . كما أفادت الباحثة في أن مؤلفها هو من أبرز الشخصيات العلمية التي عاشت في فترة الدراسة .

وهناك مخطوطة لمؤلف مجهول بعنوان " رسالة إلي نوح بن الطاهر بن أبي بكر بن موسي تتحدث عن الأسكيا محمد الكبير وصلاته مع علماء زمانه " وهي مخطوطة في مكتبة ماحيدرا ، بمدينة تنبكت (مالي) غير مصنفة . وقد أفادت الباحثة من هذه المخطوطة في مدي حب واحترام أسكيا الحاج محمد الكبير للعلم والعلماء .

أما مخطوطة " نسب سيدي يحيى " لمؤلف مجهول أيضا وتوجد في مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بمدينة تنبكت (مالي) رقم ٢٤٠ . فقد أفادت هذه المخطوطة الباحثة في التعرف علي نسب سيدي يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن التغلبي التادلسي الشريف المتوفى عام (٨٦٨هـ / ١٤٦٣م) . وأفادت في دراسة الجذور الإثنية لفقهاء مالكية تنبكت وفي التعرف علي الصلات العلمية التي ربطت فقهاء المالكية بغيرهم من فقهاء العالم الإسلامي .

كما اطلمت الباحثة علي وثيقة النهر والي (محمد قطب الدين بن محمد المتوفى عام (٩٩٠هـ / ١٥٨٢م) وهي عبارة عن إجازة صادرة منه إلى الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن الجنوى التكروري ، وهي وثيقة في مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، رقم ٢٠٦٥ ، ورقة ١٣ - ب) . وقد منحت هذه الإجازة العلمية من الفقيه

محمد قطب الدين النهروالي مفتي مكة المكرمة إلى تلميذه الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن التكروري الجنوي ، وقد تلقاها الأخير أثناء تأديته لفريضة الحج عام (٩٨٨هـ / ١٥٨٠م) . وقد استفادت منها الباحثة لأنها أوضحت المقررات الدراسية التي كان يتلقاها أبناء السودان الغربي علي أيدي أساتذتهم بالشرق ، كما أظهرت الصلة بين فقهاء بلاد السودان الغربي وفقهاء مكة المكرمة .

كما استفادت الباحثة من عدد من المخطوطات منها مخطوطة أحمد بن أحمد بن عمر أقيت المتوفى عام (٩٩١هـ / ١٥٨٤م) " مناخ الأحباب من منح الوهاب " ضمن مجموعة بالخزانة العامة بالرباط ، رقم ١٨٩٠ / ٥ . ومخطوطة أحمد بابير الأروانى : " جواهر الحسان في أخبار ملوك السودان " وهي مخطوطة في معهد البحوث والعلوم الإنسانية بنيامي النيجر ، تحت رقم ١٠٦ ، ص ١٣ ب . وكذلك مخطوطة سيدي مختار أحمد بكر الكنتي بعنوان " الإسلام في إمبراطورية سنغاي " مما حيدرا ، دار الإحياء ، مدينة تنبكت (مالي) رقم ١٨٠٩ . ومخطوطة محمد محمد المفتى (مرحبا) : " فتح الحنان المنان بأخبار السودان " بمعهد البحوث والعلوم الإنسانية ، نيامي بالنيجر ، رقم ١٠٨ .

وكذلك مخطوطة الوسياني (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام المتوفى عام ٤٧١هـ / ١٠٧٨م) " سير أبي الربيع الوسياني " ، وهي مخطوطة بالهيئة المصرية العامة للكتاب دار الكتب المصرية تحت رقم ٩١١٣ ح ميكرو فيلم رقم ٨٤٥٢ .

ثانيا المصادر المنشورة :

أفادت الباحثة من عدد ليس بالقليل من المصادر المنشورة وقد تنوعت هذه المصادر فكان فمنها .

أولاً: المصادر التاريخية :

(أ) عبد الرحمن بن خلدون (أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الشهير بابن خلدون المتوفى عام ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)

ويعد كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم"، من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة في دراستها، فقد أفادت في التعرف على بدايات المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي، وجهود حكام دولة مالي في ذبوعه انتشاره.

(ب) محمود كعت التنبكتي المتوفى عام (١٠٠٢هـ/١٥٩٣م):

"تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور" طبع هوداس و دولافوس، باريس، ١٩٦٤م، وهو الأهم بين المصادر التاريخية التي استعانت بها الباحثة حيث أفاد الدراسة في فصول عديدة منها، وكان قد بدأ في تأليف هذا الكتاب عندما بلغ الخمسين من عمره، وهذا الكتاب يعتبر من أهم المصادر التاريخية حيث عاصر المؤلف عدداً من حكام دولة صنغى الإسلامية، وقد قام بالحج مع الأسكيا محمد الكبير عام (٩٠٢هـ/١٤٩٦م) وكان في صحبتهم عدد كبير من فقهاء المالكية، ويحتوى تاريخ الفتاش على عرض لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لدولة صنغى الإسلامية، وكذلك يلقى الضوء على بعض الأحداث لدولة مالي الإسلامية، فوصف مالي وقوتها واتساعها. وأفادني هذا الكتاب كذلك في الحديث عن كثير من فقهاء المالكية الذين أثروا الحياة العلمية والثقافية والدينية زمن دولة صنغى وإلى ما بعد الغزو المراكشي مما يدل على أن أحد أحفاد الفقيه محمود كعت قد أكمل ما بدأه جده.

(ج) عبد الرحمن السعدي (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدي المتوفي عام ١٠٦٥هـ / ١٦٥٥م):

ويعتبر كتابه "تاريخ السودان" من أهم المصادر التي تحدثت عن دولة صنغي، وعن سني على، ومدينة تنبكت والطوارق، وذكر لنا عدداً ليس بقليل من الفقهاء ومدى علاقاتهم بالسلطة الحاكمة. وقدم لنا مادة غزيرة أفادت في دراسة الفصل الخامس من الرسالة والذي عرض لفقهاء المالكية وأثرهم في الحياة العلمية والثقافية.

ثانياً: كتب التراجم والطبقات:

(أ) أحمد بابا (أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفي عام ١٠٣٦هـ / ١٦٢٦م)

وقد أفادت الباحثة من العديد من مؤلفاته منها كتابه "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" والذي يُعد من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة وكتاب "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج" وكذلك كتابه "تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء" وقد تمت الاستفادة من كتابات أحمد بابا الذي ترجم لعدد ليس بقليل من فقهاء مالي وُصنفي مع اهتمامه الأكبر بذكر أقاليمه ومعلميه من الفقهاء والعلماء.

(ب) البرتلي (محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي المتوفي عام ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م):

وكتابه "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور" من المصادر المهمة لتاريخ دولة صنغي، فقد أمد الباحثة بمعلومات كثيرة عن فقهاء دولة صنغي، وعن بعض فقهاء المدن الصحراوية وما حولها. وقد أفاد هذا الأمر في تتبع الصلات الثقافية بين بلاد السودان الغربي، وبلاد المغرب، ومصر، والحجاز.

ثالثاً: كتب فقه ونوازل :

(أ) المغيلي (محمد بن عبد الكريم المغيلي المتوفى عام ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م) :

يعد كتاب " أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي من أهم الكتب التي ساعدت الباحثة في معرفة الحياة الاجتماعية والثقافية و مدى أهمية الفقيه ومدى تأثير آرائه الفقهية على الحاكم والرعية وقيام الفقيه بدور إرشادي مهم للسلطة الحاكمة ، حيث استعان به الأسكيا محمد في معرفة بعض المشاكل التي واجهته في حكم دولته . وقد أمدنا هذا الكتاب ببعض الممارسات الوثنية وجهود فقهاء المالكية في القضاء عليها .

(ب) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى عام ٩١١هـ / ١٥٠٣م) :

وكتابه " الحاوي للفتاوى، وهو من أهم المصادر التاريخية التي اعتمدت عليها الباحثة في معرفة الحياة الاجتماعية والدينية من خلال الأسئلة الواردة من التكرور ، فقد أمد الباحثة بالكثير من صور الحياة في مملكة صُنغِي ومدى حرص أهالي تلك البلاد في معرفة رأى الدين في شتى أمور الحياة هناك.

(ج) الونشريسي (أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي المتوفى عام ٩١٤هـ / ١٥٠٨م) :

وكتابه " المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس والمغرب " ويمتاز كتابه هذا بكثرة ما احتوي عليه من نوازل فقهية ، وكان المفتون في المعيار هم فقهاء المالكية في الغرب الإسلامي من تلاميذ الإمام مالك إلى شيوخ الونشريسي وأقرانه المعاصرين له ، حيث أمدنا الونشريسي بنازلة ترجع إلى أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، كان قد أفتي فيها الفقيه أبو الحسن القاسبي

(٤٣٢-٤٠٣هـ / ٩٣٥-١٠١٢م) بفتوى تبين إسهام تجار المالكية في التجارة الصحراوية ومن أسهم في نشر الإسلام والمذهب المالكي .

(د) ولأحمد بابا التنبكتي كتاب "معراج الصعود" وهو أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق" وهو من أهم الكتب التي أفادت الباحثة.

رابعاً : المصادر الجغرافية والرحلات :

كما أفادت الباحثة من المصادر الجغرافية و كتب الرحلات التي ضمت الكثير من المعلومات المختلفة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية عن دولتي مالي وُصنفي. واعتمدت الباحثة علي مصدرين من كتب الجغرافيا أفادا في كتابة الفصل التمهيدي من الرسالة والذي رصد لبدايات المذهب المالكي في السودان الغربي وهما :

(أ) البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري المتوفى عام ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) .

وكتابه "المسالك والممالك" من أهم المصادر التي أماطت اللثام عن بلاد السودان الغربي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وقد أتاح لنا هذا المصدر معرفة مدينة التكرور ، وكيف أسلم أهلها ، وكذلك كيف أسلمت مدينة سلي وإمارة مالي ، وكذلك معرفة النظام السائد في وراثه العرش في دولة غانة ، بالإضافة إلي معرفة وفرة الماء في الصحراء متمثلا في العيون والآبار التي حفرت مما أدي إلي سهولة الاتصال بين شمال الصحراء وجنوبها . ولدقة معلومات البكري وغزارتها نقل عنه البعض ومنهم صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار ، وهو لمؤلف مجهول من جيل القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد .

(ب)- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي المتوفى عام ١١٦٤هـ/١١٦٤م):

وكتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" وردت فيه معلومات ذات قيمة عظيمة عن بلاد السودان الغربي، فقد تحدث عن مدينة سلي، والتكرور وحاكمها. وقام بوصف دولة غانة وصفا كبيرا، كما تحدث عن دولة مالي، وقد أفادت الباحثة من هذا المصدر إفادة كبيرة.

أما أهم كتب الرحلات التي رصدت تطور المذهب المالكي في دولة مالي فهو "رحلة ابن بطوطة" (هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المتوفى عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

ويعد كتابه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار) من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة لأن ابن بطوطة كان شاهد عيان على كثير من الأحداث أثناء رحلته إلى دولة مالي الإسلامية عام ٧٥٣هـ/١٣٥٢م، فقد نقل لنا صوراً حية لحياة مجتمع دولة مالي ومذهبه المالكي. وقد ذكر ابن بطوطة أسماء كثير من فقهاء المالكية الذين قابلهم في بلاد السودان الغربي دون ذكر تفاصيل كافية عنهم، بل اكتفى بذكر أسماء بعضهم فقط.

(ب) ليو الإفريقي (الحسن بن محمد الوزان المتوفى عام ٩٦٠هـ/١٥٥٢م)

وقد أفادت الباحثة من كتابه "وصف أفريقيا" وهو من أهم كتب الرحلات التي اعتمدت على مشاهداته الشخصية، وقد سجل الوزان الكثير من المعلومات المهمة في دولة صُنغي في عهد أسكيا أبو بكر، كما سجل لنا الكثير عن المراكز الحضارية خاصة مدينة تنبكت، كما أمدنا ببعض المعلومات عن الحياة الاجتماعية في مجتمع بلاد السودان الغربي.

خامساً : كتب الموسوعات :

(أ) العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

ويعتبر كتابه "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة وخاصة الجزء الرابع الذي عرض فيه لدولة مالي ، ويعتبر من أفضل النصوص التاريخية التي وردت عن دولة مالي رغم أنه لم يذهب إلى بلاد السودان الغربي ، لكن جاء وصفه عن أقاليمها وقبائلها ومدنها غنياً وفريداً ، كما تحدث عن فقهاء المالكية بها اعتماداً على روايات شفوية تلقاها عن أفراد أقاموا في دولة مالي .

(ب) القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي المتوفى عام ٨٢١هـ/١٤١٨م):

ويعتبر كتابه "صبح الأعشى في صناعة الانشا" ، الجزء الخامس ، موسوعة كبرى في مختلف فروع المعرفة التي يحتاج إليها أي باحث في شتى العلوم ، حيث قدم وصفا لجميع الدول التي لها علاقة بمصر ، ومنها دولتنا مالي وصنفي مجال البحث ، ورغم اعتماده على مؤلفات المهلبى وابن سعيد وأبى الفداء وابن خلدون والحميري ، فقد جاءت المعلومات التي سجلها وخاصة في الجزء الخامس من موسوعته والمتعلقة بدولة مالي ذات أهمية كبرى أفادت البحث .

سادساً : المراجع العربية والمعرية :

كما اعتمدت الباحثة على العديد من الدراسات الحديثة خاصة كتابات أ.د/ إبراهيم علي طرخان و أ.د حسن أحمد محمود ، والدكتور أحمد الشكري ،

والدراسات التي قام بإعدادها أ.د/ حسين مراد ، د/ كرم الصاوي باز ، ود/ سوزي أباطة ، بالإضافة إلى الدراسات القيمة التي تناولتها في موسوعة " تاريخ إفريقيا العام " وخاصة تلك التي وردت في الجزأين الثالث والجزء الرابع منها .

كما اعتمدت هذه الدراسة علي كتابات جون هونوك (JOHN HUNWICK) ، وهي

Les Rapports Intellectuels Entre Le Maroc Et L Afrique Sub-Saharienne
A Travers Les Ages,

ودراسات نحميا ليفسون (Nehemia Levtzion) وهي :

Islam in West African Religion Society and Politics to ١٨٠٠ حيث تعرض للنهضة الثقافية في عهد منسا موسي وخاصة في مدينة تنبكت ، كما تحدث عن سني علي وعن عدم فهمه الصحيح للإسلام ، لأنه يجمع بين الإسلام والتقاليد ذات الأصول الوثنية ، كما تحدث عن دولة الأساكي وخاصة أسكيا داود الذي زوج ابنته من عالين تاجرين . وكتاب إلياس سعد

Social history of Timbuktu, the role of muslim scholars (Elias n. Saad) and notables الذي استفادت منه الباحثة حيث تحدث فيه عن مصادر الثروة وعن مدينة تنبكت كمركز تجارى وثقافى ، كما تحدث عن الجانب الاجتماعى وعن عائلة أقيت ، وعن مكانتها الاجتماعية في هذه المدينة ، وكذلك آدم باكوناري

Les Relations Politiques Et Culturelles Entre Le (Adam Ba konare)
Maroco Et Le Mali A Travers Les Ages.

كما أفادت الدراسة من العديد من المقالات التي نُشرت في الدوريات العربية والأجنبية والتي جاءت في قائمة المصادر والمراجع.



التمهيد

بدايات ظهور المذهب المالكي في السودان الغربي

- ١- انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي
- ٢- انتشار التجارة وانتشار المذاهب والنحل الإسلامية في بلاد السودان الغربي والتجار.
- ٣- المذهب المالكي في صُنعى.
- ٤- المذهب المالكي في إمارة التكرور.
- ٥- المذهب المالكي في مالي.
- ٦- المذهب المالكي في غانة .



ظهرت أهمية المذاهب الفقهية في الشرق الإسلامي في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي لاسيما عندما امتدت الفتوحات الإسلامية لتشمل دولاً عديدة وأجناساً متباينة ، لها تقاليد و أعراف جديدة مما استدعى أحكاماً غير تلك التي كانت سائدة من قبل^(١)

كما قام أهل الورع من العلماء العارفين بالقرآن الكريم والسنة النبوية باللجوء إلى معرفة الأحكام عن طريق الاجتهاد في فهم هذين المصدرين الأساسيين للشريعة القرآن الكريم والسنة النبوية. وتعددت الفتاوى في المسألة الواحدة^(٢) ، وكان ذلك أمراً جديداً ، لأنهم لم يعتمدوا على الرأي والقياس إذ أن كبار الصحابة اعتمدوا في أحكامهم أساساً على القرآن الكريم والسنة النبوية ، إذ لم يجدوا سواهما بديلاً ، وسار على ذلك من احتذى حذوهم ، فانقسموا إلى مدرستين^(٣): المدرسة الأولى تعتمد على النص الشرعي ، وتمثل المدرسة الأولى الحجاز مهد السنة وموطن حملتها من الصحابة ، والمدرسة الثانية تعتمد على النص الشرعي مع الأخذ بالرأي والقياس ، ويمثل المدرسة الثانية العراق و هو موطن حضارة قديمة جنح أهله إلى الرأي والقياس^(٤) وبين مذهب أهل الحجاز ومذهب أهل العراق ظهرت مذاهب تجمع بين المدرستين العراقية والحجازية وهكذا انتشرت المذاهب الفقهية فظهر مذهب

(١) ابن قيم الجوزية " شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر المتوفى عام ٧٥١هـ / ١٣٥٠م " : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ج١ ، ص ٢١ .

(٢) محمد الخضري : تاريخ التشريع الإسلامي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٩٣٩ م ، ص ١٥٢ .

(٣) ابن خلدون " عبد الرحمن بن خلدون المتوفى عام ٨٠٨هـ / ١٤٠٣م) " ، المقدمة ، تحقيق حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م ، ص ٥٣٩ .

(٤) ابن قيم الجوزية : مصدر سابق ، ج١ ، ص ١١١ ، محمد الخضري : مرجع سابق ، ص ١٥٣ .

الإمام أبو حنيفة^(١) في العراق ومذهب الإمام الشافعي^(٢) في مصر ومذهب الأوزاعي^(٣) بالشام غير أنه لم يضاء المذاهب التي انتشرت في العالم الإسلامي كالمذهب المالكي^(٤)

(١) أبو حنيفة: هو " النعمان بن ثابت التيمي " مولا هم الكوفي ، وهو أحد الأئمة الأربعة ، ولد في عام (٨٠ هـ / ٦٩٩ م) ، وعمل بالتجارة ، وتلمذ على يد عدد كبير من التابعين ولزم أستاذه حماد بن أبي سليمان في رحلاته الحجازية لأداء فريضة الحج ، وبعد موت أستاذه (١٢٠ هـ / ٧٣٧ م) ، توسط حلقة الدراسة في المسجد ، وإليه كانت الرحلة العلمية وإطار منهجه الفقهي القرآن والسنة وأقوال الرسول والقياس وتوسع فيه ، والاستحسان والإجماع والعرف ، ومن أخص تلاميذه : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري نسبا ويكنى بأبي يوسف ، وتلميذه الثاني محمد بن الحسن الشيباني المتوفى (١٨٩ هـ / ٨٠٤ م) أنظر الرازي : " أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بن إدريس ، الجرح والتعديل ، ط ١ ، مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدر آباد ، الدكن ، الهند ، ١٩٥٢ م ، دار إحياء التراث بيروت ، ص ٤٥٠ .

(٢) الشافعي : " هو محمد بن إدريس أبو عبد الله القرشي ، ثم المط لى الشافعي " ولد بغزة ونشأ يتيماً في حجر أمه التي انتقلت به إلى مكة ، ثم درس الفقه ، فساد أهل زمانه وأخذ العلم عن شيوخ مكة ، كمسلم بن خالد الزنجي ، وسعقان بن عتيبة وكان من تلاميذ الإمام مالك ، ورحل إلى العراق (١٨٤ هـ / ٨٠٠ م) ، ثم انتقل إلى مصر فأقام بها حتى توفي عام (٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) ، ومنهج الإمام الشافعي في الفقه وسط بين الحديث والقياس ، أنظر السيوطي " جلال الدين عبد الرحمن " طبقات الحفاظ ، تحقيق على محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ص ١٥٢ .

(٣) الأوزاعي : " هو أبو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمر الأوزاعي " عالم أهل الشام ، ولد سنة (٨٨ هـ / ٧٠٦ م) ، وكان يسكن دمشق ثم انتقل إلى بيروت ، وقد حدث عن أستاذه مكحول عالم أهل الشام ، وكان فقيهاً يعتمد على الحديث وقد توفي عام (١٥٧ هـ / ٧٧٣ م) ، أنظر الأصبهاني : " أبو نعيم أحمد بن عبد الله " ، حليه الأولياء ، وطبقات الأصفياء ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ج ٦ ، ص ١٣٥ ، ١٤٩ .

(٤) مالك : " هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي إمام دار الهجرة " ينتمي إلى قبيلة حير التي ترجع أصولها إلى قحطان ، ولد رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنة (٩٣ هـ / ٧١١ م) ، وتوفي (١٧٩ - ٧٩٥ م) ، أنظر عياض : " أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي " ت ٥٤٤ هـ / ١٢٥٠ م " ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، ج ١ ، ص ١٠٢ ، وأنظر كذلك ، كارل بروكمان : تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية عبد الحلیم النجار ، دار المعارف المصرية ،

والمذهب الحنبلي^(١) الذي ساد في بغداد .

ويعد المذهب المالكي الذي ساد في الحجاز نظاماً عاماً للمجتمعات الإسلامية التي انتقل إليها هذا المذهب ، وهي مصر وإفريقية والأندلس والمغرب الأقصى ، ومن تلك البلاد انتقل إلى الدول الإسلامية التي قامت في بلاد السودان الغربي^(٢) .

طه، بدون تاريخ، ج٣، ص ٢٧٤، ٢٧٥، حيث كانت المدينة دار حديث وإسناد ، فكان أهل الفتوى بالمدينة من التابعين ، ومنهم سعيد بن المسيب وهو سيد التابعين ، وعروة بن الزبير ، وخارجة بن يزيد الذي كان يقسم الموارث في المدينة ، وسليمان بن يسار وهو عالم المدينة ، وعبد الله بن عتيبة بن مسعود ، وكان يعتني بالحديث ، ثم أتى بعدهم محمد بن المنكدر الذي وقال فيه الإمام مالك بن أنس "كان سيد القراء" ، ومحمد بن شهاب الزهري ، وهو أول من دون العلم ، إلى أن توجت "بإلك" الذي ذاع صيته وفاق أقرانه ، وكثر تلاميذه الذين انتشروا في الأقطار الإسلامية ، وللمزيد أنظر ، ابن خلفون الأندلسي : أسماء شيوخ الإمام مالك بن أنس ، تحقيق محمد زينهم عزب ومن أقوال الإمام مالك التي تدل على حرصه على أخذ العلم " أن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون منه ، ولقد أدركت سبعين ممن يقولون : قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين فما أخذت منهم شيئاً ، وإن أحدهم لو أقرن على بيت مال لكان أميناً ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن " أنظر الرازي ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص١٢ .

(١) الحنبلي : " أبو عبد أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي ولد في بغداد (١٦٤هـ / ٧٨٠م) ، ومذهبه يعتمد على الكتاب والسنة والتشدد في الحديث ، للمزيد أنظر الذهبي : "شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الدمشقي" ، تذكرة الحفاظ ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، ١٣٤٧هـ ، ص ٤٣٠ ، ٤٣١ .

(٢) السودان الغربي " مصطلح أطلقه الجغرافيون العرب على المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والممتدة بين المحيط الاطلسي غربا وبحيرة تشاد شرقا ، ويطلق عليها الآن منطقة غرب إفريقيا ، أنظر : أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع السوداني ، إمبراطورية مالي ، المعجم الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٠م ، ص ٥٧ .

ويرجع للمذهب المالكي الفضل في بناء صرح الحضارة الإسلامية في بلاد السودان الغربي التي انتشر بها لأنه مذهب يهتم بمناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية كافة .

وقد تقلص المذهب المالكي في الحجاز مهد ظهوره ، ولكنه لقي انتشاراً واسعاً في بلاد المغرب والأندلس ثم السودان الغربي ، حيث توطلدت أركانه ، وقويت دعائمه ، حتى أصبح هذا المذهب هو المذهب السائد في تلك الربوع . ويرجع هذا الانتشار إلى ما عرف عن إمامه من تمسكه بنصوص وتشريعات الكتاب والسنة ، ومحاربة البدع ، بالإضافة إلى تشبته التام بآثار الصحابة والتابعين^(١) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المذهب المالكي دخل إلى إفريقية خلال الفترة المبكرة من تاريخ هذا المذهب، وأثناء حياة الإمام مالك نفسه ، وذلك على أيدي تلامذته من تلك المنطقة ، ونذكر منهم علي بن زياد المتوفى عام (١٨٣هـ / ٧٩٩م)^(٢) الذي يعتقد أنه أول من أدخل المذهب إلى بلاد إفريقية والمغرب، بالإضافة إلى البهلول بن راشد (١٢٨-١٨٣هـ / ٧٤٠-٧٩٩م)^(٣) وعبد الله بن فروخ (١١٠-١٧٦هـ / ٧٢٨-٧٩٢م)^(٤) الذي أخذ عن الإمام مالك نفسه ، وأخذ عنه مالك بعض

(١) عمر الجيدى : محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، منشورات عكاظ ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧م ، ص ٢٤ ، ٢٦ .

(٢) أبو العرب تميم القيرواني : طبقات علماء إفريقية وتونس ، تحقيق علي الشامي ونعيم حسن الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٥م ، ص ١١٢ .

(٣) البهلول بن راشد : هو " أبو عمرو ، كان ثقة ، مجتهداً ورعاً ، سمع من مالك بن أنس ، ومن سفيان الثوري ، والليث بن سعد وغيرهم ، وسمع منه مشايخ إفريقية ، منهم سحنون ، وعون بن يوسف الخزاعي ، ويحيى بن سلام ، المتوفى عام (١٨٣هـ / ٧٩٩م) ، أنظر أبو العرب تميم : مصدر سابق ، ص ١٢٦ ، ١٣٨ .

(٤) هو " أبو عبد الله بن فروخ الفارسي " فقيه القيروان الجامع بين العلم والورع والقيام بالحق ، تفقه في الشرق ، وتفقه على مالك وأبي حنيفة ، وناظر بمجلس أبي حنيفة فقلبه ، وكان اعتاده في الفقه

معارفه . ومن تلامذة الإمام مالك أيضا في إفريقية عبد الله بن عمر بن غانم^(١) (١٢٨-١٩٠هـ / ٧٤٥-٨٠٥م) وأسد بن الفرات (١٤٢-٢١٣هـ / ٧٥٩-٨٢٨م) وغيرهم من علماء إفريقية الأوائل^(٢) .

في حين بدأ انتشار المذهب المالكي إلى المغرب الأقصى في عهد إدريس بن عبد الله (١٧٢-٢١٣هـ / ٧٨٣-٨٢٨م)^(٣)، مع أنه لم ينتشر هنالك بشكل كبير إلا ابتداء من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ،على أيدي دارس بن إسماعيل المتوفى عام (٣٥٧هـ / ٩٦٧م) الذي تعتبره بعض الروايات أول من جاء بمدونة الإمام سحنون إلى تلك البلاد^(٤) .

أما الأندلس التي كان أهلها على مذهب الإمام الاوزاعي ، فقد انتشر بها المذهب المالكي أيضا بعد أن ارتحلت جموع غفيرة من طلبة الأندلس لتلقى العلم والفقهاء على يد مالك بن أنس، ومنهم عبد الرحمن المعروف بشبطون المتوفى عام (٢١٢هـ / ٨٢٧م) الذي أدخل الموطأ إلى تلك البلاد^(٥)، وكذلك سعيد بن أبي هند الذي أطلق عليه الإمام مالك (حكيم الأندلس)، والفقهاء سعيد بن عبدوس

والحديث علي مالك ، ثم رجع للقيروان وانتفع به خلائق ، روي عنه مسلم وغيره ، أنظر محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ، ج ١ ، ص ٩١ .

(١) محمد زينهم محمد : الإمام سحنون ، دار الفرجاني ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ١١١ .

(٢) حسين مراد: المذهب المالكي في السودان الغربي، مجلة الوقائع التاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعه القاهرة، يناير ٢٠٠٦، ص ٥٣ .

(٣) ابن عذارى: "أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي" البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، مكتبة دار صادر، بيروت، ١٩٥٠م، ج ٢، ص ١٠٠، ١٠١ .

(٤) عمر الجيدي : محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، منشورات عكاظ ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، ١٩٨٧م، ص ٢٤، ٢٦ .

(٥) القاضي عياض : مصدر سابق ، ص ١١٧ .

المتوفى عام (١٨٠ هـ / ٧٩٦م) الذي تزود من مدرسة المدينة وعمل على نشر المذهب المالكي حتى وفاته ، و أصبح لهذا المذهب الغلبة في الأندلس بفضل هذه الجهود . وفي عهد الأمير الأموي هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢-١٨٠ هـ / ٧٨٨-٧٩٦م)^(١) تم التمكين للمذهب المالكي في هذه البلاد ، بعد أن حمل الناس على الالتزام بمذهب الإمام مالك . فظهرت المصنفات المالكية سواء في السند أو المتن أو عن مناقب الإمام مالك و تلاميذه^(٢) ، بالإضافة إلى ظهور كتب النوازل والفتاوى التي تتضمن أحكاماً مالكية ، حتى أصبح القضاة لا يفتون إلا بالمذهب المالكي . ومن هنا هيمن فقهاء المالكية على الثقافة الأندلسية حيث أصبح هذا المذهب يشكل عمقاً ثقافياً وعملاً تشريعياً منظماً^(٣) .

وهكذا أعانت المصادر في التحديد الزمني لانتشار المذهب المالكي في إفريقية والمغرب الأقصى والأندلس ولكن هنا يختلف الأمر بالنسبة لبلاد السودان الغربي ، حيث أن المادة المصدرية تعدّ معدومة لتعيين التحديد الزمني لانتشار المذهب المالكي في تلك البلاد . ويزداد الأمر صعوبة مع رصد بعض المصادر لتحركات دعاة المغاربة الذين اتجهوا إلى السودان الغربي لنشر الإسلام بين السودانيين خاصة أن هؤلاء الدعاة يتسبون إلى جماعات و فرق إسلامية متعددة شملت السنة والشيعة والخوارج^(٤) .

(١) ابن عذارى: مصدر سابق ، ص ٦٦ .

(٢) Jose Lopez Ortiz: la recepcion de la Espana a anurio do historio del dercho esponol lomo Madrid _ ١٩٣٠, p٨٠ .

(٣) السيوطي : تزيين المالك بنعناقب سيدنا الإمام مالك ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ ، ط١ ، ص ٣٦ .

(٤) حسين مراد: المذهب المالكي في السودان الغربي، ص ٥٤ .

ولذلك تمحّت سلامة المنهج قبل تناول الأدوار التي لعبها فقهاء المالكية بالسودان الغربي، الحديث عن كيفية دخول المذهب المالكي إلى تلك البلاد، أي محاولة التحديد الزمني لانتشار هذا المذهب في تلك البلاد.

- بدايات دخول الإسلام في بلاد السودان الغربي :

يرتبط دخول الإسلام إلى منطقة السودان الغربي بطبيعة العلاقات بين شمال الصحراء وجنوبها والتي كان لها أكبر الأثر في دخول الإسلام من الشمال الإفريقي صوب الصحراء الكبرى إلى بلاد السودان الغربي^(١)، حيث لم تكن الصحراء حاجزا بين بلاد المغرب وبلاد السودان. فقد لعبت الصلات التجارية دوراً بارزاً في توسيع شبكة الاتصالات بين المنطقتين، ومن ثم تسرب الإسلام إلى بلاد السودان.

وترجع هذه الصلات إلى ما قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وعلى الرغم من أن طابع وحجم الاتصالات التجارية قبل الإسلام يمثل إشكالية، إلا أن وجود اتصالات متنوعة عبر الصحراء الكبرى هو أمر ثابت من خلال سلسلة من النقوش الصخرية التي تظهر بها عربات تجرها الخيول. وتتبع هذه النقوش طريقاً يبدأ من وادي درعة^(٢) مروراً

(١) الحاج مرجا : "محمد المقتى مرجا" فتح الحنان بأخبار السودان"، معهد البحوث والعلوم الإنسانية، نيامي، النيجر، رقم ١٠٨، ص ٢٤ب.

Myth and Metrology: The Early Trans-Saharan Gold :Timothy F. Garrard Trade, The Journal of African History, Vol. ٢٣, No. ٤ (١٩٨٢), Cambridge University press, p٤٤٣.

(٢) درعة مدينة قاعدتها يومتين، يجرى بها وادي درعه ويوفر جبل درعه للمدينة الحصانة، والمدينة عامرة بها أسواق جامعة، ويقدم البكري وصفا للطريق الممتد من وادي درعة إلى الصحراء ثم إلى بلاد السودان. أنظر البكري "أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م"، المسالك والممالك، حققه جمال طلبة، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م، ج٢، ص ٣٥١، ٣٥٠.

بأدرار^(١) في موريتانيا الحالية ليتهي في الدلتا الداخلية لنهر النيجر . كما نجد طريقا آخر تشير إليه النقوش الصخرية يعبر الصحراء الكبرى من جنوب تونس وخليج سرت ويمر بجبال الأحجار في الجزائر حاليا ، ليصل إلى نهر النيجر نحو مدينة جاو^(٢) التي تعد أقدم حواضر بلاد السودان الغربي^(٣) .

وبعد انتهاء الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب استمر التواصل بين شمال الصحراء الكبرى وجنوبها ، إذ تمكن التجار المسلمون من التوغل في مدن المغرب المختلفة إلى المراكز التجارية السودانية ، وساعد هذا التوغل على تنشيط تجارة الصحراء والالتقاء والاختلاط بسكان السودان والتأثير عليهم مما أسهم في انتشار الإسلام بينهم^(٤) .

وكان نتيجة لازدياد النشاط التجاري أن ازداد انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي ، فالتجارة تمت في ظل الإسلام ، فخدمها الإسلام وخدمته ، وأصبح الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير^(٥) ، وكان التجار إلى جانب مزاوله

(١) إدوار مدينة تقع شمال السنغال المتاخمة للصحراء الكبرى في موريتانيا الحالية ، كانت مهداً لقبيلة لثونه ، وهذه المدينة فقيرة لا يزرع فيها غير الشعير والنخيل . أنظر دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الأول مادة إدوار ، ص ٥٣٤ ، ٥٣٥ .

(٢) مدينة جاو تقع عند بداية الثنية الثانية لنهر النيجر ، مدینه قديمه تتكون من مدينتين ، وما تزال آثارها قائمة حتى الآن ، وقد أصبحت المدينة منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي عاصمة صنفى ، ارتبطت هذه المدينة مع إفريقية عبر طريق يمر بتادمكة ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٧٢ ، أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطوريه مالي ، ص ١٠٢ .

(٣) Hunwick j ,o : Les rapports intellectuels entre le Maroc et L , Afrique sub -saharienne a travers les ages , publications de L , Institut des etudes Afriaines , Rabat ١٩٩٠ , p٨ .

(٤) صباح إبراهيم الشخى : النشاطات العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي ، مجله معهد الدراسات والبحوث العربية ، بغداد ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٥٢ .

(٥) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٣ م ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ .

البيع والشراء مع الأهالي يقومون بنشر الإسلام متخذين الإسلام أساساً في تعاملاتهم ، وكان سلوكهم وأمانتهم تجذب الأهالي لهذا الدين ^(١) . واستناداً إلى المصادر المتاحة بدأ الإسلام يتسرب إلى الصحراء منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، ففي هذا القرن بدأت المحاولات الأولى لنشر الإسلام و معرفة الطرق الصحراوية، وكان هذا في الولاية الثانية لعقبة بن نافع الفهري عام (٦٢هـ / ٦٨١م) والذي توغل إلى مدينه نول^(٢) على ساحل المحيط الأطلسي في أقصى الغرب^(٣)، ثم تابع زحفه حتى وصل إلى مدينه تارودانت^(٤) ، ثم عمد إلى بناء مسجد في مدينه ماسة^(٥) مما يعنى بدء انتشار الدعوة الإسلامية في أقصى جنوب المغرب الأقصى

(١) حسن إبراهيم حسن :انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ ، ص ٧٣ .
الريفيق " أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الريفيق " : قطعه من تاريخ إفريقيا والمغرب ، تحقيق عبد الله العلي الزيدان ، عز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٩٠ م ، ص ١٦ .

(٢) مدينة نول آخر بلد الإسلام ، وأول العمران من الصحراء ، ومن مدينة نول إلى مدينة درعه ثلاث مراحل أنظر ، البكري : مصدر سابق ، ص ٣٤٩ ، ٢٧٢ .

(٣) المالكي " أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي المتوفى عام (٤٣٨هـ / ١٠٤٦م) " : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسأكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٩٤ م ، ج ١ ، ص ٤٠ .

(٤) ويقول الإدريسي عن مدينة تارودانت : " من أرض درعه إلى بلاد السوس الأقصى ثلاثة أيام ومدينته هي تارودانت ، وبلاد السوس قرى كثيرة وعمارتها متصلة بعضها ببعض " كما يقول : " وبين مدينة السوس أعنى تارودانت وتيووين ثمانية أيام في جنات ويساتين وكروم وأشجار " " ومن مدينة السوس إلى مدينة أغمات تسع مراحل في قبائل من البربر المصامدة " ، أنظر الإدريسي " محمد بن محمد بن عبد الله إدريس الحمودى الحسنى المعروف بالإدريسي ، من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي " نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، طبع مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل ، ١٨٦٣ م ، ص ٦٠ ، ٦٣ .

(٥) وترسم أيضا " ماست " وينسب إليها وادي ماسة : المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٤٠ ، ويقول الحميري : " ماست نهر عظيم في بلاد السوس الأقصى بالمغرب يصب في البحر المحيط ، جريه من القبله إلى الجوف كجري نيل مصر ، عليه قرى متصلة وعنارات كثيرة ويساتين وجنات " أنظر الحميري : " محمد بن عبد المنعم الحميري المتوفى عام (٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) ، الروض المعطار في خبر

وبالتالي تسرب الدعوة الإسلامية إلى الصحراء الغربية مما دعا إلى تعليم أهلها أمور الدين الإسلامي علي مذهب أهل السنة .

تابع خلفاء عقبة بن نافع جهوده في نشر الإسلام بين قبائل الملثمين ، فقد بلغ موسى ابن نصير وادي درعة و تافيلالت وانشأ مسجدا في مدينة أغمات^(١) وينسب إلى حبيب بن أبي عبيدة المتوفى عام (١٢٤هـ/ ٧٤١م)^(٢) الذي بعثه عبيد الله بن الحبحاب إلى المغرب غازياً في حدود سنة (١١٦هـ/ ٧٣٤م) فتح السوس الأقصى وأرض السودان " ولم يقابل أحداً إلا ظهر عليه... وسبى أناساً من قبيلة من قبائل البربر يقال لها مسوقة، في طريق بلاد السودان... ورجع سالماً"^(٣)

- التجارة وانتشار المذاهب والنحل الإسلامية :

ومما يدل على قدم الصلات التجارية بين المنطقتين واستمرار الاتصالات بين شمال الصحراء وجنوبها خلال عصر الولاية بالمغرب تلك الإشارات المصدرية التي ترجع إلى الثلث الأول من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، فالبكري المتوفى عام (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) يذكر أن عبد الرحمن بن حبيب الفهري والى إفريقية والمغرب (١٣٠-١٣٨هـ/ ٧٤٧-٧٥٥م) اهتم بطريق القوافل لأهميته، فأمر بحفر آبار على طريق القوافل الذي يربط بين مدينة تامدلت^(٤) جنوب المغرب الأقصى ومدينة

الأقطار تحقيق إحسان عياس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ط١ ، ١٩٧٥ ، ص ٣٣٠ ، ٥٢٢ .

(١) ويقول البكري عنها : "الطريق من مدينة أغمات إلى السوس على ما ذكره مؤمن بن يومر الهوارى من أغمات وريكة إلى مدينة نفيس ، وهي تعرف ببلد النفيس ، كثير الأنهار والشار ، ليس في ذلك القطر موضع أطيب منه ولا أجل منظرا ، وهي قديمة أولية " ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٣٤٦ ، المراكشي : مصدر سابق ، ج١ ، ص ٣٧ .

(٢) ابن عذارى : مصدر سابق ، ص ١٢٤ ، ١٢٣ .

(٣) الرقيق : مصدر سابق ، ص ٧٢ ، ابن عذارى : مصدر سابق ، ج١ ، ص ٥١ .

(٤) الطريق من مدينة تامدلت إلى بئر الجمالين مرحلة ، وهذه البئر عمقها أربع قامات من أنباط عبد

أودغست^(١). وكان هذا لحل مشكله ندرة المياه التي كانت تمثل عائقاً أمام حركة القوافل التجارية عبر الصحراء^(٢).

كذلك ما أورده المالكي المتوفى عام (٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م) في ترجمته لسكن بن سعيد الصائغ ، إذ يذكر أنه كان يقوم بعمل السلاسل النحاسية ، ويقوم بطلائها بماء الذهب لتباع في بلاد السودان ، ولم يمدنا المالكي بأية إشارة زمنية في تحديد ميلاد أو وفاة صاحب هذه الترجمة ، والسؤال المطروح هو في أي زمن عاش سكن بن سعيد الذي كان يبيع منتجاته في السودان الغربي ؟ . ولتحديد العلاقة بين شمال وجنوب

الرحمن بن حبيب ، ومنها إلى شعب ضيق ، ثم تسير في جبل يسمى أزور ثلاثة أيام ، وطوله مسيرة عشرة أيام من أول طريق سجلماسة إلى جانب البحر المحيط ؛ ثم تسير إلى بئر كبيرة تسمى وين هيلون ، ثم تمشي ثلاثة أيام في أرض صحراء ، ثم تسير منها إلى بئر أنبؤها عبد الرحمن بن حبيب واحترها في حجر أدعج صلب طولها أربع قامات مرحلة ، ثم تسير منا إلى بئر يقال لها ويطنونان ، وهي كبيرة لا تنزف ، ماؤها زعاق يسهل شاربوه من الناس والأنعام ، وهي من عمل عبد الرحمن بن حبيب ، وطولها ثلاث قامات ، ثلاث مراحل ثم تمشي منه إلى أربع مراحل إلى موضع يقال له أوكازنت وبها الماء على ذراعين وثلاث ، وبهذا الماء يجتمع جميع طرق بلاد السودان . أنظر البكري : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، أحمد إلياس حسين : العلاقات بين مملكة غانا والمغرب العربي فيما بين القرنين الثاني والخامس الهجريين / الثامن والحادي عشر الميلاديين ، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، قسم التاريخ ، ١٩٨٢م ، ص ٥١ ، ٥٢ .

(١) أودغست مدينة قديمة تقع في جنوب غرب الصحراء الغربية ، وهي وادي عامر بين جبلين ، وتقع جنوب مدينة سجلماسة ، والمسافة بينها مسيرة خمسة عشر يوماً ، وفي غربها مدينة أوليل الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي والمسافة بينها مسيرة شهر ، وهي مدينة كبيرة أهلة بالسكان الذين تنوعت عناصرهم ، للمزيد أنظر البكري : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٣٥٥ ، ياقوت الحموي "مهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٨م" معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧م ، جـ ١ ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، حسين مراد : دولة أودغست الإسلامية من القرن الثاني إلى الخامس للهجرة ، القرن الثامن إلى الحادي عشر للميلاد) ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، نُشر في العدد ٤٦ ، ٢٠٠٨ ، ص ٤ ، ١٧ ، ٥ ، ١٨ .

(٢) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٥٥ .

الصحراء وللإجابة على هذا السؤال علينا أن نرجع إلى أبي العرب تميم المتوفى عام (٣٣٧ هـ / ٩٤٤ م) وهو الذي ترجم لهذا الصائغ أيضاً فيذكر أن سكن بن سعيد الصائغ قد سمع من البهلول بن راشد المتوفى عام (١٨٣ هـ / ٧٩٩ م) وبناء على هذا القول فإن هذا الصائغ كان حياً خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي تقريباً ، وإن الصلات بين إفريقية وبلاد السودان تعود إلى تلك الفترة الزمنية المبكرة وهي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري^(١) .

وهذا الأمر يدفعنا إلى الاتفاق مع الرأي القائل^(٢) إن السنة في المغرب الإسلامي قد بدءوا النشاط التجاري مع السودان الغربي قبل نشأة دولتي الخوارج الصفيرية في سجلماسة عام (١٤٠ هـ / ٧٥٧ م) والتي تعرف بدولة بني مدرار^(٣) والدولة الأباضية في تاهرت^(٤) والتي تُعرف بالدولة الرستمية (١٦١

(١) حسين مراد: الصلات بين المغرب والسودان الغربي (خلال القرن ٦-٢ هـ / ٨-١٢ م) ضمن أبحاث مؤتمر الإسلام في إفريقيا والذي نظمته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا وجامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم، ٢٠٠٦، الكتاب الحادي عشر، ص ٣٧٧.

(٢) حسين مراد: المرجع سابق، ص ٣٧٧.

(٣) وقاعدتها سجلماسة . أنظر السيد عبد العزيز : المغرب الكبير ، ج-٢ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٧٦ هـ / ١٩٦٦ م ، ص ٥٨٣ ، ص ٥٨٩ ، الحبيب الجنحاني : المغرب الإسلامي - الحياة الاقتصادية والاجتماعية (٤-٣ هـ / ٩-١٠ م) "الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٨ م ، ١٠٢ ، ١٤٦ ، وللمزيد عن قيام دولة بني مدرار أنظر حسين مراد: دولة بني مدرار في سجلماسة بالمغرب الأقصى (١٤٠-٢٩٧ هـ / ٧٥٧-٩٠٩ م) رسالة ماجستير من جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، ١٩٨٦ م ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ .

(٤) الدولة الرستمية نسبة إلى عبد الرحمن بن رستم ، الذي أعلن نفسه أول إمام أباضي وهو من الخوارج الأباضية الذين نجحوا في إقامة دولة بتاهرت بالمغرب الأوسط ، واستمرت حتى عام (٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) أنظر محمود إسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامي ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٧٣ م ، ص ٩٣ ، سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، دار المعارف بالإسكندرية ، ١٩٧٩ م ، ج٢ ، ص ٢٩٥ .

٢٩٦هـ/ ٧٧٧-٩٠٧م) وهذا يجعلنا لا نتفق مع من ذهب إلى أن التجارة عبر الصحراء كانت حكراً على جماعات الخوارج^(١) وقال بعدم السماح للدول السننية حتى بفرصة التعرف على طرق وأسرار تلك التجارة^(٢). ومن هذا يتضح أن التجار السنة ساهموا في التجارة قبل غيرهم وأن هؤلاء التجار والتجار الأباضيين ساهموا في التجارة عبر الصحراء خلال ذلك القرن.

وهكذا بدأت القوافل التجارية تجتاز الصحراء منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي عبر عدة طرق من أهمها:

— الأول: من سجلماسة وينطلق طريق منها إلى والاية ومنها إلى تنبكت وجني وجاو.

— الثاني: من تلمسان ويمر هذا الطريق بغرداية وتوات وينتهي إلى تنبكت.

— الثالث: من تاهرت وورقلة وينطلق طريق آخر منه إلى غاو مباشرة، وهذا المسلك يتصل شمالاً ببضائع المواني الجزائرية المهمة في الشمال، مثل جزائر بني مزغنة و بجاية وسكيكدة وغيرها.

— الرابع: من واحة الجريد في جنوب تونس ومنها ينطلق من هذا الطريق غالباً ما تمر قوافله بورقلة وسوف أو غدامس.

(١) محمد الفاسي وإيفان هريك: مراحل تطور الإسلام وانتشاره في إفريقيا، موسوعة تاريخ إفريقيا العام اليونيسكو، باريس، ١٩٩٤، المجلد الثالث، ص ٩٠. وأنظر حسين مراد: المذهب المالكي في السودان الغربي، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٢) Dévisse (j.): Routes du commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la Méditerranée, un essai sur le AFRIQUE occidentale en du XIe au XVIe siècle in revue d'histoire économique et sociale, Parise L. ١, ١٩٧٢, P. ٤٢٧٣.-

الخامس : من طرابلس الغرب على الساحل الليبي ومنها ينطلق طريق يمر
بغدامس ويمر فرع منه بفزان و ينتهي إلى بورنو و غاو .

السادس : وينطلق من مصر طريق يمر بواحة سيوة و بزويلة و تادمكة و ينتهي إلى
جاو تنبكت^(١) .

وخلال تلك الفترة لعبت القوى السياسية في المغرب دورا مهماً في تشجيع
تجارة القوافل الصحراوية مع بلاد السودان ، فنجد علاقات تجارية مع دولة بني
مدرار الخارجية الصفيرية التي قامت عام (١٤٠هـ / ٧٥٧م) وفي هذا العام أيضا تم
بناء مدينة سجلماسة^(٢) التي أصبحت عاصمة لدولتهم وكان لها الفضل بسبب
موقعها الجغرافي أن تكون همزة وصل بين بلاد المغرب من جهة ، وبلاد السودان من
جهة أخرى ، مما جعلها تتحكم في تجارة القوافل لمدة كبيرة عبر الصحراء الكبرى^(٣) .
وهكذا بدأت مشاركة الخوارج الصفيرية في سجلماسة في التجارة عبر هذه الصحراء
، والراجح أن هؤلاء الخوارج لعبوا دورا في نشر الإسلام على أساس مذهبهم
الخارجي الصفيري .

(١) البكري : مصدر سابق ، ص ١٨٢ .

Smith (A.): The Early States of Central Sudan, New York, ١٩٧١, P. ١٧,
De La Ronciere: OP .Cit., t ١, p. ٩٧-٩٠ .

(٢) سجلماسة : إقليم يستمد اسمه من المدينة الرئيسية التي بنيت سنة (١٤٠هـ / ٧٥٧م) وهي مدينة
سهلية أرضها سبخة ، حولها أرياض كثيرة ، وفيها دور ريفية وميان سرية ولها بساتين كثيرة ، تسكنها
قبائل بربرية مختلفة ، وأهلها يسمنون الكلاب وياكلونها ، ومن مدينة سجلماسة تدخل إلى بلاد
السودان إلى غانة ، وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة، وبين سجلماسة وبين
وادي درعة مسيرة خمسة أيام ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٣٢ .

(٣) اليعقوبي : "أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ت ٢٨٤هـ / ٩٨٢م "كتاب البلدان ، تحقيق دى خوروى
، ليدن ١٨٩٢م ، ص ٣٦٠ ، ابن حوقل : "أبو القاسم محمد بن علي النصيبى المتوفى عام (٣٨٠هـ /
٩٩٠م) صورة الأرض ، دار صادر ، بيروت ، طبعة ليدن ١٩٣٨م ، ص ٩٩ .

كما ربطت العلاقات التجارية الأباضية في بلاد المغرب مع بلاد السودان بعلاقات متينة، حيث كانت القوافل التجارية الضخمة تنطلق من واحات فزان وارجلان وغدامس وجادو وشيروس بجبل نفوسة وغيرها من المدن، تحمل معها مختلف السلع^(١) وفي نفس الوقت يقوم أفرادها بنشر الإسلام^(٢) وبذلك ساهمت تلك الدولة أيضا في التجارة الصحراوية، بفضل تشجيع حكامها وإن كانت صلات تاهرت كما يبدو من المصادر الأباضية مع مدينة جاو^(٣).

(١) ذكر الإدريسي "أن التجار يدخلون بلاد السودان بأعداد من الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار وضروب من الأفاوية والعطر وآلات الحديد المصنوع" أنظر الإدريسي: مصدر سابق، ص ١٢٠، ١٢١.

(٢) كانت التجارة في الدولة الرستمية حرة يقوم بها كل فرد تتزع نفسه إليها، واشتهر كثير من التجار والأغنياء الذين عاشوا خلال هذه الفترة، فعرفوا لكثرة تنقلاتهم بين ورجلان ووادي ريغ، وبلاد الجريد وإقليم فزان وجبل نفوسة من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى، ومنهم من كان تاجرا وعالما في نفس الوقت، ومنهم أبو عثمان المزاتي الدكي، الذي عاش خلال القرن "٣هـ/ ٩م" وكان يسافر إلى بلاد السودان. أنظر الدرجيني: "الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني المتوفى عام (٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) تحقيق إبراهيم طلالى، الجزائر، ١٩٤٧م، ج٢، ص ٣٠٨، الشماخي: "أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي المتوفى عام (٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م)" كتاب السير، تحقيق محمد حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، ج٣، ص ١٢٣، ١٢٤.

(٣) ويعتبر اليعقوبى كوكو (جاو) أهم الدول على أيامه، ويقول إنها تطلق على عاصمة الدولة، وكانت تخضع لها عدة ممالك تدين لكوكو (جاو) بالولاء والسيادة، وكان لأهميتها التجارية أن ارتبطت بعلاقات مع التجار المسلمين. "أنظر عبد الرحمن زكى: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مجموعة محاضرات أقيمت في معهد الدراسات الإسلامية، مطبعة يوسف، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٤٧، ٤٨. ومن هذه العلاقات الطيبة التي كانت قائمة بين الدولة الرستمية وبلاد السودان، وخاصة مدينة كوكو "جاو" أن الإمام أفلح عقد مع ملك كوكو علاقات مودة فأهدى إلى هذا الملك هدية نفيسة ليوثق الصداقة بينهما، ويشكره على ما يجده تجار بلاده من حسن المعاملة، وانتشر الإسلام بهذه المدينة بفضل النشاط التجاري أنظر ياقوت الحموي: مصدر سابق، مادة كوكو، ص ٣٠١

كما شجع الاغالبية الذين أسسوا دولتهم عام (١٨٤هـ / ٨٠٠م)^(١) رعاياهم في مدن إفريقية على المشاركة في التجارة بين شمال الصحراء وجنوبها^(٢)، وقد ساعدت حيوية التجار المغاربة بالإضافة إلى دور الدويلات السياسية المستقلة والفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي والصحراء والسودان الغربي خلال القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، في تنمية الأمن على طول الطرق التجارية . وكان التجار المغاربة إلى جانب أعمالهم التجارية يقومون بالدعوة إلى الإسلام ، وقد ارتبطت التجارة وانتشار الإسلام مذهبهم في السودان الغربي كافة إلى الدرجة التي أصبح من العسير معها وضع حد فاصل بين الدور الذي قام به التجار من جهة وبين دور العلماء ودعاة الإسلام من جهة أخرى . وغالباً ما يجمع الدور التجاري والدور الدعوى في نفس الرجل^(٣) ، وبما أن هؤلاء التجار كانوا أصحاب مذاهب شتى فإنهم استثمروا اتصاهم بأهالي السودان الغربي لنشر الإسلام على أساس مذاهبهم المختلفة^(٤).

واستمر تدفق الإسلام عبر الطرق التجارية مع استمرار تسرب المذاهب الدينية المختلفة إلى السودان الغربي خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي،

(١) نسبة إلى إبراهيم بن الأغلب ، أحد ولاة العباسيين بالمغرب (القيروان) ، الذي أستقل بالمغرب وأسس دولة عرفت بالاغالبية في نهاية القرن الثاني الهجري (١٨٤ هـ / ٨٠٠م) إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، (٢٩٦هـ / ٩٠٨م) ، أنظر ابن خلدون : "أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد" تاريخ ابن خلدون ، راجعه درويش الجويدى المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، المجلد الثاني ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ، ص ١٨٤١ ، الدكتور السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٧٢ ، ٤٠٦ ، للمزيد عن دولة الاغالبية أنظر . سعد زغلول عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ وما بعدها .

(٢) المالكي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٨٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٣) Lewis , I. m. : ISLAM in Tropical Africa (Oxford , ١٩٦٠) p . ٢٠٠ .

(٤) حسين مراد : الصلوات ، ص ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

بواسطة الاحتكاك التجاري في المقام الأول مع ازدياد نمو النشاط التجاري للمغاربة على اختلاف مذاهبهم ، وبفضل المناقشة بين الدويلات السياسية المستقلة من مداريين و رستمين وأغالبية انتعشت تلك التجارة انتعاشا كبيراً، ففي العهد الأعلى استمر خروج القوافل التجارية من إفريقية وقد وصل حجمها إلى مائة جمل بأحماها وأعاونها^(١) ، فقد كانت القوافل المغربية تتجمع في مدينة سجلماسة نحو إدرار ، وصولاً إلى مدينة أودغست ثم تنطلق القافلة من أودغست إلى عاصمة غانة القديمة الواقعة على ستة أيام من الجنوب الشرقي، أو تنطلق نحو المناطق الخصبة والعامرة بالسكان في وادي نهر السنغال أي إلى بلاد التكرور^(٢) .

وفي أواخر القرن الثالث الهجري وتحديدأ بين عامي (٢٩٦-٢٩٧هـ/ ٩٠٨-٩٠٩م) نجح الفاطميون الشيعة في القضاء على دولة الأغالبية ، ثم قضاوا على دولتي الخوارج المدرارية في سجلماسة والرستمية في تاهرت ، ونتيجة للغزو الفاطمي الشيعي وبطشهم بالاباضية خاصة في المغرب الأوسط ، وتفرق أهل تاهرت في واحات الصحراء^(٣) أصبحت لهم السيطرة على كل بلاد المغرب بعد أن قضاوا على كل الدول المستقلة^(٤) مما أتاح لهم السيطرة والتحكم في طرق تجارة

(١) المالكي : مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٢) اليعقوبي : مصدر سابق ، ص ٣٦٠ .

(٣) ابن الصغير المالكي : أخبار الأئمة الرستمين ، تحقيق محمد ناصر ، وإبراهيم بخاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ٧١ . أنظر النفوسى "سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠م" الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية ، مطبعة الأزهار البارونية، بدون تاريخ ، ج٢ ، ص ١٣ ، وللمزيد عن دولتي الرستمين والمداريين الخارجيتين بتاهرت وسجلماسة في المغرب الأوسط والاقصي أنظر ، محمود إسماعيل : أثر الخوارج في الحياة السياسية في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، رسالة دكتوراه منشورة ، كلية آداب جامعه القاهرة ١٩٧٠م .

(٤) عز الدين عمر موسى : دراسات إسلامية غرب إفريقية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م ، ص ٥٧ ، ص ٥٨ . إيقان هريك : بروز الدولة الفاطمية ، تاريخ إفريقيا العام ، المجلد الثالث ، اليونسكو ١٩٩٤ ، ص ٣٥٨ .

الصحراء ، وبذلك احتكروا تجارة الصادر والوارد مع السودان الغربي، وبسبب هذا الوضع تحالف الأباضية وأهل السنة ضد الفاطميين من أجل تجارة الصحراء^(١)

وقد عاش المذهب المالكي خلال القرنين الثالث والرابع الهجري تجربة مريرة قبل أن يحقق انتصاره النهائي سواء على المستوى الشعبي أو على مستوى السلطة الحاكمة ، فبعد محنة الإمام سحنون بن سعيد (١٦٠-٢٤٠هـ/ ٧٦٦-٨٥٤م)^(٢) مع الأغلبة وفقهائهم الأحناف خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وهي المحنة الخاصة بخلق القرآن^(٣) دخل فقهاء المذهب المالكي بإفريقية خلال القرن

(١) الحبيب الجنحاني : دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ ، ص ١٦٦ . كانت الدولة الفاطمية تسعى جاهدة من أجل بسط نفوذها على العالم الإسلامي كله بشكل عام ، لذلك كانت رغبة خلفائها في الاستمادة من المبادلات التجارية عبر الصحراء كبيرة ، ليتسنى لهم الحصول على الذهب من أجل تمويل فتوحاتهم وضرب عملاتهم ، وبالتالي كانت تلك الدولة حريصة على بسط نفوذها على المناطق الواقعة على مسالك تلك التجارة ومدن المرافئ المرتبطة بها ، فدخلت في صراع مع الدولة الأموية بالأندلس بقصد السيطرة على تلك المناطق ، خاصة ما يقع منها على طرق المحور الغربي ، وقد تحزب سكان المنطقة حول الدولتين المتصارعتين ، فكانت صنهاجة وكتامة إلى جانب الفاطميين ، وإلى جانب الأمويين زناتة المتضررة من الدولة الفاطمية ، وقد تمكنت الدولة الفاطمية وحلفاؤها من تحقيق انتصارات عسكرية كبيرة كادت أن تقضي على طموحات خصومها الآن انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر أدى إلى حسم الصراع لصالح الأمويين وزناتة.

(٢) هو عبد السلام بن سعيد المشهور بسحنون (١٦٠-٢٤٠هـ/ ٧٦٦-٨٥٤م) الفقيه القاضي الأستاذ المعلم ، الذي درس على خيرة شيوخ عصره في إفريقية ، وذهب يطلب ليعلم من الإمام مالك بن انس نلم يدركه فدرس على ابن الماجشون من شيوخ المدينة ، ثم كر راجا إلى مصر حيث درس على يد شيخها عبد الرحمن بن القاسم العتقى وأشهب بن عبد العزيز ، للمزيد، أنظر عن الإمام سحنون ، محمد زينهم محمد عزب ، مرجع سابق ، ص ٧.

(٣) حدثت محنة خلق القرآن ، وكاد يذهب الإمام سحنون ضحيتها ، والذي تولى امتحان القضاة والفقهاء في إفريقية محمد بن أبي الجواد ، الذي عرف بسياسة التقرب إلى أمراء بني الأغلب من أجل الاحتفاظ بالمنصب "قاضي إفريقية" كما كان يتميز بجهلة في إصدار الأحكام والفتاوى ، كما كان يستخدم ذريعة امتحان القضاة والفقهاء في التخلص من المعارضين أمثال سحنون ، فتعرض سحنون

التالي في صراع حاد وعنيف مع الدولة الفاطمية الشيعية وقد استغل الخلفاء الشيعة وفقهاؤهم قوة السلطة لإرهاب المناوئين لهم سياسياً ومذهبياً وعملوا على قمعهم في أفريقية^(١). على أن وقوف أهل إفريقية وراء فقهاءهم المالكيين حد من تسلط الشيعة، وخفف من ممارساتهم الإرهابية التي تستهدف فرض مذهبهم، ولم تقتصر المواجهات بين المالكيين والشيعة على استعمال العنف والسيف^(٢)، بل امتدت لتشمل المناظرات الكلامية بينهما، وقد احتفظت لنا كتب طبقات المالكية بنماذج من تلك السجلات التي غالباً ما كانت تنتهي بتفوق فقهاء المذهب المالكي وانتصارهم، مما أدى في نهاية الأمر إلى قيام الثورات ضد الفاطميين^(٣) وإذا كان الفاطميون قد عجزوا عن نشر أو فرض مذهبهم الشيعي في بلاد المغرب فقد عجزوا أيضاً عن مجرد التعريف بمذهبهم الشيعي في بلاد السودان الغربي.

وعلى أية حال ترتب على الغزو الفاطمي لبلاد المغرب انهيار دولة الخوارج الصفرية في سجلماسة، بل وحدث اندثار لمذهبهم، ولكن المذهب الإباضي لم يندثر برغم انهيار الدولة الرستمية، ولكنه انحصر في بعض الجهات المتناثرة مثل جبل

لظلم كثير، فكانت مقاطعة الناس له مجبرين بأمر الأمير والقاضي، وقطع ملابسه لولا أن أسرعت النية بالأمير أحمد بن الأغلب، ولولا تعاطف ابنه أبو العباس محمد مع سجنون لضاعت حياة علم من أعلام المذهب المالكي، للمزيد عن هذه المحنة أنظر عن "عنه فقهاء المالكية مع الاغالبية والشيعة" أنظر عياض: ترتيب المدارك، ج ٤، ص ٦٢. ابن عذارى: البيان ج ١، ص ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨١.

(١) أحمد الشكري: مرجع سابق، ص ١٢٤.

(٢) حاول الخوارج استرداد سلطانتهم والدفاع عن مصالحهم بكل وسائل العنف التي امتلكوها، متحالفين في ذلك مع خصوم الفاطميين في المغرب والأندلس، وخبر ما يصور ذلك ثورة أبي يزيد غلغل بن كيداد الاباضي الذي أوشك أن يقضى على خلافة الفاطميين في إفريقية، غير أن ثورته سحقت في سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٦م. ولم يكن مصير ثورة أبي خرز يعلى بن زلتاف في سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م - ٩٦٩م بأحسن حالا من ثورة أبي يزيد، أنظر بيعة أبي يزيد للناصر الأموي عند المراكشي: مصدر سابق، ج ٢ ص ٣٣١، ٣٣٠، الشاخي: مصدر سابق، ص ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١.

(٣) أنظر عز الدين عمر موسى: مرجع سابق، ص ٥٨.

نفوسة ، ورجلان ، ورقلة^(١) فقد ظل أتباعه يمارسون نشاطهم التجاري وإن قل هذا النشاط بعض الشيء ، كما أدى سقوط الدولة الرستمية الإباضية إلى إضعاف المذهب وأتباعه في السودان الغربي^(٢).

ومع هذه الأحداث التي واجهت رحيل الفاطميين إلى مصر ، نجد نازلة تدل على استمرار الصلات التجارية بين المغرب وبلاد السودان الغربي خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، كما تدل أيضاً على علو شأن تجار المالكية وعودة نشاط تجارتهم كسالف عهدهم من حيث القوة والانتشار، وتظهر مدى إسهام تجار المالكية في التجارة عبر الصحراء. وتعتمد معلوماتنا عن التجارة عبر الصحراء في هذا القرن على ما جاء عند الونشريسي^(٣) من نازلة أفتى فيها فقيه القيروان أبو الحسن القابسي (٣٢٤-٤٠٣هـ / ٩٣٥-١٠٢١م)^(٤) ، وهذه النازلة بها دلالة على التبادل التجاري بين إفريقية وبلاد السودان في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي^(٥).

(١) حسين مراد : المذهب المالكي ، ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق والصفحة .

(٣) الونشريسي : " أبو العباس أحمد بن يحيى المتوفى عام (٩١٤هـ / ١٥٠٨م) " : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، حقق تحت أشرف ، محمد حجي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج٩ ، ص ١١٦ .

(٤) هو : " أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حلف المغافري المعروف بالقابسي المتوفى عام (٤٠٣هـ / ١٠١٢م) وهو من كبار فقهاء المالكية في القيروان خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وكان مشهوراً بسعة علمه ، ومن بين شيوخه محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، اشتهر القابسي بتضلعة وسعة معرفته في علوم الحديث والفقه والكلام ، وله مؤلفات عديدة أورد منها ابن فرحون سبع عشرة عنواناً ، وانتهت إليه رئاسة المذهب المالكي في القيروان ، الونشريسي : مصدر سابق ، ج٩ ، ص ١١١ .

(٥) ونص الفتوى كما يلي : " سئل القابسي عن من دفع إلى رجل قرصاً ليمضي به إلى ناحية تادمكة وهي بلاد السودان وشهد الشهود . فسافر إلى تادمكة ومنها إلى غانة وأودغست ، وتأهل هناك وولد له ،

وهناك فتوى أخرى تدور حول نزاع بشأن ميراث تاجر من إفريقية توفى في بلاد السودان دون أن يترك وصية^(١) وتتناول هذه النازلة التي جرت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي التجارة بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي عبر الصحراء الكبرى ، وتشير إلى بعض المراكز التجارية مثل تادمكة ، وأودغست ، وغانة ، وقد ذكر البكري هذه المراكز في وصفه للطريق من سجلماسة إلى غانة^(٢) كما ارتبط بالنشاط التجاري بين المنطقتين استقرار بعض المسلمين لمدة طويلة في بلاد السودان ومصاهرة أهلها وبالتالي انتشار الإسلام بفضل التأثير الطويل والسلمي للتجار المسلمين المغاربة^(٣)

ويشهد القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تطورات أسهمت في ارتفاع شأن المذهب المالكي في إفريقية والمغرب، كان أولها وصول المعز بن بأديس إلى الحكم سنة (٤٠٦ - ٤٥٤ هـ / ١٠١٦ - ١٠٦٢ م) وهو أمير إفريقية ، فالمعز هو الذي طهر الله تعالى على يديه إفريقية من مذهب الشيعة... وحمل الناس في أيامه على مذهب الإمام مالك وقطع ماعداه.

وأقام إحدى عشرة سنة من يوم خروجه من البلد الذي أخذ فيه المال ، وعلى هذا العامل ديون باع القاضي فيها ماله ليقسمه بين الغرماء فقام من له الحق القيام بهذا القرض هل يضرب له مع الغرماء " أنظر الونشريسي : مصدر سابق ، ج٩ ، ص ١١٦ . وقد أجاب القابسي في إجابته على تحويل المال الذي استلمه الوكيل وفق عقد القراض غالى دين مما يعطى صاحب القراض الحق في اقتسام العائد مع بيع أملاك الوكيل مع بقية الدائنين ، أنظر حسين مراد : الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي ، ص ٣٧٦ .

(١) ميشيل برت : فتويتان من أواخر القرن الرابع الهجري ، تتعلقان بالتجارة عبر الصحراء ، بحث في مجلة البحوث التاريخية ، مركز جهاد الليبيين ، المجلد الأول ، السنة الثالثة ، يناير ١٩٨١ م ، ص ٦٢ .

(٢) البكري : مصدر سابق ، ص ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ .

(٣) Levizion , N : Western Maghrib and Sudan , in the Cambridge History of Africa, vol٣, Cambridge , London , ١٩٧٧, p ٣٨٩.

وإذا كانت المصادر تختلف حول التاريخ الذي أزال فيه الدعوة الشيعية من إفريقية وإعادة المذهب السني المالكي إلى سابق عهده فإن بعضها يرجع الأمر إلى بداية حكمه لإفريقية، والبعض الآخر يرجع تاريخ هذا الأمر إلى عام (٤٣٥هـ/١٠٤٤م) وعندما قطع الدعوة للقاطمين وأظهر ولاءه للعباسيين^(١).

وقد استمرت علاقة بلاد السودان مع إفريقية في عهد المعز بن باديس (٤٥٤-٤٠٦هـ/١٠١٦-١٠٦٢م) إذ وصلت من تلك البلاد هدية سنوية سنة (٤٢٣هـ/١٠٣٢م)، كما كان هناك هدايا أخرى ويصف ابن عذارى هذه الهدية بقوله: "هدية جليلة فيها رقيق كثير وأنواع من الحيوان"^(٢)، والرقيق الذي وصل مع هذه الهدية يعد السلعة الثانية ذات الأهمية بعد الذهب الذي كان يُجلب من بلاد السودان الغربي إلى بلاد المغرب^(٣)، ولم تعين المادة المصدرية المتاحة الجهة التي وصلت منها الهدية هل هي غانة أم مالي أم بلاد التكرور أم صُنغى؟.

أما العامل الثاني لارتفاع شأن المذهب المالكي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي هو قيام دولة المرابطين^(٤) التي قامت بدعوة الحق ورد المظالم

(١) حيث كانت في إفريقية مذاهب الصفرية والشيعية والأباضية والتكارية والمعتزلة، ومن مذاهب أهل السنة الحنيفة والمالكية ولم يبق في أيامه إلا مذهب الإمام مالك، أنظر ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ص ٣٩٧، ابن أبي دینار: مصدر سابق، ج ٢، ص ١٠٣، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، راجعه درويش الجويدني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج ٢، ص ٢٠٧، ص ١٨٦٨.

(١) ابن أبي دینار: المصدر السابق: ص ١٠٥.

(٢) ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٦، ٤٠٠.

(٣) الإدريسي: مصدر سابق، ص ١٢٠، ١٢١.

(٤) - عن المرابطين ودولتهم أنظر: حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٧م، أيفان هريك وجان دقيس: المرابطون: تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، ج ٣، ص ٣٧١-٤٠٢، وداود نصر محمد لسيد الطوخي: مدينة تنبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ١٩٨٦.

وقطع المغارم، وهم على السنة متمسكون بمذهب الإمام مالك^(١) ونجحوا في توحيد المغرب الأقصى ومد نفوذهم إلى بلاد الأندلس . وقد شكلت تجارة الصحراء أهمية تجارية للمغرب في عهد هؤلاء المرابطين ، حيث نشطت الحركة التجارية في هذه الفترة لتوافر عوامل عديدة منها سيطرة المرابطين على مساحات واسعة من الصحراء مما أدى إلى استقرار الأوضاع السياسية في هذه المناطق^(٢). وكان لسيطرة المرابطين على تلك المساحات أكبر الأثر في إحكام السيطرة على الطرق التجارية المهمة ، وخاصة الطريق الذي يصل ما بين سجلماسة في الشمال إلى أودغست وبلاد السودان في الجنوب مما ساعد على تأمين هذه الطرق ، وبالتالي ازدهار حركة التبادل التجاري مع بلاد السودان ، وازدهرت معها المدن التجارية لكل من السودان الغربي وبلاد المغرب، وما بينهما من محطات متناثرة على الطرق التجارية في قلب الصحراء^(٣) ، وليس أدل على العلاقات الطيبة من إقامة علاقات سياسية ودية مع بعض القوى السودانية مثل إمارة التكرور ودولة غانة^(٤).

(١) البكري : مصدر سابق ، ص ٣٥١.

(٢) حسين مراد: الصلات بين المغرب والسودان الغربي ، ص ٣٨٢.

(٣) BOVill (E. W.) : The golden trade of the Moors , London , ١٩٦١. P٨٠.
,Oliver(R) &Fage (J.B.) :A Short History of Africa , Benguin book , ١٩٧٣ ,p٨٧.

(٤) وليس أدل على هذه العلاقات الطيبة القائمة بين الطرفين ، من ذلك الكتاب الذي أطلع عليه صاحب الاستبصار ، وقال : "ووقع إلى كتاب ملكها ، أي ملك غانة ، إلى يوسف بن تاشفين ، وأن لم يشر صاحب الاستبصار إلى فحوى الرسالة ، أنظر الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، الإسكندرية ١٩٥٨م ، ص ٢٢٠

David Conrad and Humphrey Fisher : The Conquest That Never Was: Ghana and the Almoravids, ١٠٧٦. I. The External Arabic Sources History in Africa, Vol. ٩ (١٩٨٢), African Studies Association, p٢٧٢٣.

وهكذا قامت دولة المرابطين على المذهب المالكي السني وقامت بالقضاء على بقايا المذاهب المخالفة للسنة وخاصة المذهب الأباضي ، وعملوا علي تمسك أهل المغرب بالمذهب المالكي و إبتاعهم له وإلزامهم بفقته صاحبه ، كما منع حكام المغرب من المرابطين الناس من الخروج عنه^(١) .

و خلاصة القول ، إذا كان للمرابطين دور كبير في تصحيح المفاهيم الإسلامية لدى المسلمين في دولتهم ، وتخليص هؤلاء مما ساد بينهم من البدع والخرافات والعادات والتقاليد والرواسب الوثنية ، فقد تمكنوا من تحقيق الوحدة المذهبية في المغرب الإسلامي، بعد أن فشلت الفرق الإسلامية المتطاحنة من خوارج وشيعة وغيرهما في الوصول إلى ذلك الهدف ، كما قاموا بدعم الدعوة الإسلامية وتعميق هذا الدين بصفة عامة في المنطقة ، والمذهب المالكي بصفه خاصة في نفوس العامة بالمغرب ونشره بين صفوف فئات واسعة من سكان السودان الغربي^(٢) .

(١) ابن أبي الزرع : "أبو الحسن علي بن عبد الله المتوفى عام (٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) " : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، طبع مدينة أويسالة بدار الطباعة المدرسية ، ١٨٤٣م ، ص ١٢٩ .

(٢) Hiskett ,M : The development Of Islam in west Africa , logman (٢) ,London ١٩٨٤,p٢٣.

عمود إسماعيل : فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ص ٦١ ، ٥٩ .
وللمزيد عن دولة المرابطين أنظر ، عصمت هانم عبد اللطيف دندش : دور المرابطين في نشر الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٧٥م . عبد الباقي محمد أحمد كبير : المرابطون ودورهم في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية جامعه الأزهر ، ١٩٨٤ .

وقد أسهمت هذه الجهود في تشبث أهل المغرب بالمدن المالكية بإتباعهم له والتزامهم فقه صاحبه ، كما منع حكام المغرب من المرابطين الناس من الخروج عنه ، وهذا الأمر من الشهرة بحيث لا يحتاج إلى برهان عليه^(١) .

إلى جانب هذا كله لم يترك المسلمون مسؤولية نشر الإسلام في السودان الغربي للتجار المحترفين ، فإلى جانب انتشاره بشكل عفوي فإن الجاليات الإسلامية في المناطق السودانية كانت تضم مع التجار العارفين والراغبين بالقيام بالدعوة إلى الإسلام بموازرة أنشطتهم التجارية مجموعات من العلماء والفقهاء المتفرغين لنشر الإسلام والدعوة إليه^(٢) .

وكانت الجاليات العربية المسلمة منتشرة في مختلف مناطق السودان الغربي، حيث كانت توجد جاليات كبرى أساساً في العواصم مثل تلك التي كانت موجودة بشكل ملحوظ في عاصمة غانة على امتداد قرون قبل دخول الإسلام رسمياً لها وقد قال البكري : عن تلك الجالية في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أثناء حديثه عن تلك العاصمة " ...ومدينه غانة مدينتان ...إحدهما المدينة التي يسكنها المسلمون ، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً أحدهما يجتمعون فيه وبها الأئمة والمؤذنون والراتبون ، وفيها فقهاء وحملة علم وفي مدينة الملك مسجد يصل في فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك ..."^(٣) ، كما كانت هناك جاليات نمائلة ، ولو أنها أصغر حجماً في تکرور وسلي وبريسى وكوغه وكوكو"^(٤) .

(١) الونشريسي : مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٦٩ .

(٢) صباح إبراهيم الشبخلي وعادل محي الدين الألوسي : تاريخ الإسلام في إفريقيا وجنوب شرق آسيا ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ١٩٨٩ ، ص ٥٣ .

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص ٣٦٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

وقد تساءل بعض الباحثين عما إذا كانت الأحياء الخاصة بالمسلمين في المدن السودانية قبل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تخص الشماليين من العرب والبربر، أم أنهم كانوا يشكلون معظم سكانها وتضم إلى جانبهم أعدادا ليست قليلة من السكان المحليين المسلمين ، مبينين أن الإجابة عن هذا السؤال صعبة ، وإن كانوا يشيرون إلى أن غالبية تلك الأحياء كانت من العرب والبربر الذين كانوا يعتقدون أن وجودهم في مدينة مستقلة عن الوثنيين أمر تقتضيه العفة ومقاييس الشريعة.

وكان الدعاة من أبناء هذه الجاليات يتوجهون بالدرجة الأولى إلى الملوك ورؤساء العشائر الذين كانوا يستقرون بالقرب منهم ويرتبطون بهم و يقيمون معهم علاقات صداقة ويبدلون جهودا كبيرة من أجل إقناعهم باعتماد الإسلام ، كما أن أولئك الدعاة كانوا يحرصون كلما سنحت لهم الفرصة بذلك على تربية أبناء أولئك الملوك والرؤساء وفقا لتعاليم الإسلام وينشئونهم عليها^(١).

MAuny (Raymond) :tableau géographique de l'ouest Africa in au (١) money –age ,dapres les sources ecrites ecrites , la tradition et l'archeology, memoire de l'Ifan n!٦١, Dakar, ١٩٦١. P٤٨ – ٤٩.

المذهب المالكي في صنغى^(١):

ومن أهم دول وملوك السودان الغربي الذين استفادوا خلال تلك المرحلة من هذا النشاط الدعوى دوله صنغى وعاصمتها جاو ، حيث انتشر فيها الإسلام نتيجة للعلاقات التجارية التي ربطت الشمال الإفريقي ببلاد السودان الغربي، حيث إن طرق القوافل التي حملت معها التجارة حملت معها أيضاً الدعاة المسلمين وخاصة تجار ودعاة الأباضية الذين قدموا عليها زمن الدولة الرستمية (١٦٠ - ٢٩٧هـ / ٧٧٧ - ٩٠٩ م)^(٢) التي اتصلت من عاصمتها تاهرت عن طريق القوافل التجارية التي كانت تخرج من ورجلان قاعدة الرستمين التجارية في الصحراء. وقد وقع على كاهل هؤلاء التجار نشر الدعوة الإسلامية بين الرعايا بجانب ممارستهم نشاطهم

(١) ودوله صنغى تعرف بـ (أو صنغى - سنغى - سونقهاى - صونقهاى - صنغاي - سنغاي ...) قامت مملكة صنغى الأولى في إقليم دندى على النيجر الأدنى ، وأقدم ما عرف عنها الآن ، هو أنه في حوالي عام ٣٩٩هـ / ٩١٢م كانت عاصمة هذه المملكة هي مدينة كوكيا على النيجر ، وتقع على بعد نحو مائة ميل جنوب جاو العاصمة ، ويقول السعدي ، عن كوكيا ، : "حشر فرعون السحرة في مناظرته مع الكليم عليه السلام "السعدي : مصدر سابق ، ص ٣، وأياً ما كانت رواية السعدي ، فالمحقق أن كوكيا أقدم العواصم المعروفة لدولة صنغى ، غير أنه ، منذ حوالي القرن الأول الهجري / السابع الميلادي " ، يبدأ تاريخ صنغى في الوضوح ، وذلك حين قامت أسرة الازواء في الحكم ، وهي التي تحول لقبها فيما بعد (القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) إلى أسرة شي ، أنظر إبراهيم على طرخان : إمبراطورية صنغى الإسلامية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الثامن ، ١٩٨١م ، ص ٨ ، ٩ . وقد عاصرت دولة غانة ودوله مالي ، وقيمت صنغى حتى سنة ١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م وينقسم تاريخها إلى قسمين فيما يتعلق بالإسلام ، فقد كانت على الوثنية حتى عام ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م ، ثم اعتنق ملكها الإسلام في هذا التاريخ ، وأصبحت منارة لحضارة الإسلام ومبادئه ، أنظر حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .

(٢) الوسيانى : سير أبى الربيع الوسيانى ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٩١١٣ ح ميكروفيلم رقم ٨٤٥٢ ، ص ٤٩ ، الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب ، تحقيق إبراهيم طلاي ، الجزائر ١٩٧٤م ، ج ٢ ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

التجاري ، إذ كانوا يرون في انتشار الإسلام جنباً إلى جنب مع نشاطهم التجاري تدعيماً لهذا النشاط^(١) ، يشهد على ذلك تراؤمهم الكبير^(٢) .

هذا وقد استمر تدفق الإسلام إلي جاو حتى بعد زوال الدولة الرستمية حيث تمكن الإسلام من جماعة كثيرة من سكانها، لكن انتقل الدور الدعوي من تجار الأباضية إلي تجار المالكية.

ومعروف أن جاو تقع في منطقة الحوض الأوسط لنهر النيجر حيث كانت ترتبط بإفريقية عبر الجادة الصحراوية التي تصل كوكيا بالقيروان مروراً بتادمكة السوق^(٣) ، ومنذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كان تجار ودعاة وفقهاء إفريقية المالكيون يرتادون جاو ومنهم من كان يستقر بها ، حيث انتشر الإسلام مما شجع الحاكم الخامس عشر من حكام صنغى الذي تذكر المصادر أنه أسلم عام (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) ، وأعطى لنفسه لقب "مسلم دام" ومعناه في لغتهم أسلم

(١) ويؤكد مورخو الاباضية ، من خلال ما ذكره الوسياني المتوفى عام (٤٧١هـ/ ١٠٧٨) في أحداث الحكم الثاني للدولة الرستمية عبد الوهاب بن عبد الرحم بن رستم (١٧١-٢٠٨هـ/ ٧٨٨-٨٢٣م) أن ابنه أفلح عزم على السفر إلى بلاد كوكو لكن أباه صرفه عن عزمه ، وما يؤكد على قوة العلاقة بين الطرفين وأهميتها للطرفين ، من أجل تقوية العلاقات بينهما ، وحين آل أمر حكم الدولة الرستمية إلى أفلح بن عبد الوهاب (٢٩٨-٢٥٨هـ/ ٨٢٣-٨٧١م) سعى لدعم هذه العلاقات مع بلاد السودان الغربي ، فأوفد سفارة رسمية إلى تلك البلاد ، على رأسها محمد بن عرفة الذي تولى مناصب رفيعة في الدولة الرستمية ، محملاً بهدايا من أفلح إلى ملك السودان ، فسر هذا الملك من الوفد وهبته وهديته ، أنظر الوسياني : سير أبي الربيع الوسياني ، مخطوطة ، ص ٤٩ ، ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميين ، مصدر سابق ، ص ٧١ .
Davidson, B : Old Africa rediscovered , London , ١٩٥٩, p ٩٧.

(٢) كان بيت ابن زلفين المزاتي يملك من الإبل ثلاثمائة ألف ، ومن الغنم ثلاثمائة ألف ، ومن الحمير اثني عشر ألفاً ، أنظر النفوسى "سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م" : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية ، مطبعة الأزهار البارونية ، بدون تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٣٧ .

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص ٣٧٢ .

طواعية ويدون إكراه^(١) ، وأصبح البزركانيون أهل جاو^(٢) لا يملكون عليهم أحداً من غير المسلمين، وكان هذا قبل قيام دوله المرابطين^(٣).

وقد ذكر لنا البكري في هذا الصدد، "...ومدينة كوكو...وهي مدينتان، مدينة الملك ومدينة المسلمين، وملكهم يسمى قندا، وإذا تولى منهم ملك، دفع إليه خاتم وسيف ومصحف يزعمون أن أمير المؤمنين بعث إليهم بذلك، وملكهم مسلم، ولا يملكون غير المسلمين"^(٤).

وهذا القول يدل على أن حاكم جاو في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كان مالكيًا، فقد أشار البكري إلى هذا الأمر الذي تدعمه الأدلة الأثرية أيضاً، إذ تؤكد شواهد القبور التي اكتشفت بالقرب من جاو اتخاذ حكام صُنغني ألقاباً شرفية متطورة تتناسب مع استخدام الدول الإسلامية السنية^(٥)

(١) عبد الرحمن السعدي: "عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي كان يعيش بعد عام ١٠٦٥هـ/ ١٤٩٦م": تاريخ السودان، طبعة هوداس وينوة، مطبعة بردين، مدينة أنجى ١٨٩م، ص ٣

(٢) البرزكانيون هم أهل جاو، أنظر البكري، ص ٣٧٢.

(٣) عثمان برايا باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر و التوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٤٤.

(٤) البكري: مصلر سابق، ص ٣٧٢. وترى الباحثة أن رأى البكري الذي تحدث عن ملك صُنغني المسلم وعلاقاته بأمر المؤمنين ربما يكون قد أضفى وعن قصد على من يعنيه أمير المؤمنين قدراً من الغموض لكونه سنياً وأندلسياً موالياً للأمويين من جهة، وعلواً للفاطميين ومنهجهم من جهة أخرى.

(٥) أتخذ ثلاثة ملوك أسماء الرسول وخليفته "محمد بن عبد الله المتوفى في ٤٩٤هـ، وأبو بكر بن أبي قحافة المتوفى ٥٠٣هـ، وعمر بن الخطاب المتوفى ٥١٤هـ ومن خلال اثنين من هذه الشواهد تم نحتها بالتأكيد في أسبانيا، حيث يسود الاعتقاد أن حمل هذا اللقب ينشأ عن العادة الإسبانية التي بدأت تثبت منذ ٤٤٦هـ في بلاط مع لقب الناصر لدين الله، والتي وردت على مقابر جاو وهي مرتبطة باسم الخليفة الأموي، أنظر Al sauvaget. j : les Epiaphes royales de Gao, Al andalus, vol xlv, fasc I, Madrid , ١٩٤٩, p ١٣٧, p ١٣٨.

كما تدل هذه الشواهد على العلاقة القوية التي ربطت بين المرابطين حكام المغرب والأندلس مع ملوك صُنغِي في أواخر القرن الخامس الهجري ، فمن خلال دراسة سوفاجيه لشاهد قبر أحد الملوك لهذه الدولة والذي كتب عليه ما يلي : هنا يرقد الملك أبو عبد الله بن محمد الذي دافع عن دين الله وهو الآن في رعاية الله ورحمته ، وكان هذا في عام (٤٩٤هـ / ١١٠٠م)^(١).

وتؤكد هذه التواريخ الموجودة على هذين الشاهدين أنه تم نحتها في مدينة المرية الأندلسية في الوقت الذي كان المرابطون يسيطرون فيه على الأندلس ، ولذلك يمكن القول بأن هناك صلات تَمَّت عبر المرابطين بين مدينة المرية حيث تم نحت هذه الشواهد ، ومدينه جاو حيث فيها هذه الشواهد^(٢) ، ويقول سوفاجيه : "كان من الممكن الاعتقاد بأن صانع تلك الشواهد قدم من الأندلس إلى جاو^(٣) في عام (٤٩٤هـ / ١١٠٠م)^(٤) وفي عام (٥٠٢هـ / ١١٠٩م) لعمل تلك الشواهد بنفس الأسلوب

(١) Sauvaget .j :cit ,op,p١٢٤١٢٥.

(٢) Ibid: p,١٣٢, ١٣٣.

(٣) يرى سوفاجيه أن هذين الشاهدين قد نحتا في الأندلس وخاصة في مدينة المرية Almeria ثم نقلتا إلى المقابر الملكية في جاو وكانت أدلة على ذلك :

شكل الحروف الكوفية المستخدمة في الشاهدين وخاصة شكل حرف العين الذي تشبه كتابته علي الشاهدين اللذين عثر عليهما في جاو شواهد قبور عثر عليها في المرية . طريقه كتابة "هاذا" بدلا من "هذا" هي الشائعة في النقوش العربية بالأندلس . التشابه بين الركنيات الزخرفية في شواهد المرية وشواهد جاو .

كما كان هناك بعض الآيات القرآنية وبعض النصوص الشعرية لأبى العتاهية المنظومة مبنية على نفس الوزن ونفس القافية ، وهي تعتبر بمثابة مفاجأة مفاجئة في جاو حيث يصعب شرحها عبر الظروف المحلية وحدها ، ولكن في إسبانيا تثبت عادة نقش الأشعار على القبور ، على الأقل تلك القبور الخاصة بالشخصيات الكبرى

(٤) Sauvaget .j:ibid , , p١٢٦, ١٢٧, ١٣٢, ١٣٣

Sauvaget .j:ibid, , p١٢٤١٢٥.

، لكن أبعاد هذه الشواهد ووزنها الضئيل نسبياً تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنه قد تم نحتها في الأندلس وبالتحديد في مدينة المرية Almeria ونقلت إلى مدينة جاو ووضعت على المقابر الملكية^(١).

وهذا يؤكد أن التأثير السني المالكي للمرابطين كان واضحاً على إمارة صُنغِي وعاصمتها جاو ، وأن المذهب المالكي هو مذهب هذه الدولة .

المذهب المالكي في إمارة التكرور^(٢) :

لم يكن ملك جاو هو الملك السوداني الوحيد الذي أسلم تحت تأثير الدعوة ، وإنما كان هناك ملوك عديدون من أمثال وارجايى بن رابيس ملك التكرور الذي أسلم بعد تولية حكم بلاده، وكان إسلامه في الثلث الأول من القرن الخامس ، أي قبل حركة المرابطين ، وهذا ما نستخلصه من كلام البكري في معرض حديثه عن مملكة التكرور وسكانها^(٣).

عمل وارجايى بن رابيس على الدعوة للإسلام في مدينته سلى القرية منه واستجاب ملك سلى لدعوته دون تردد^(٤) .

(١) Sauvaget .j:ibid , p128, 129.

(٢) التكرور : مدينة في بلاد السودان عظيمة مشهورة ، أهلها أشبه الناس بالزنوج ، وتقع إمارة التكرور على الضفة اليسرى لنهر السنغال ، وهي بذلك تقابل مجال صنهاجة الشام على الضفة الأخرى ، خاصة قبيلة جدالة (آخر الإسلام خطة) أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٣) البكري : المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

(٤) البكري : مصدر سابق ، ص ١٧٢ ، أحمد الشكري : مرجع سابق ، ص ٩٥ ، نقولاً زيادة : معاهد العلم الإسلامية في السودان الغربي في العصور الوسطى ، المؤسسة الجامعية ، ١٩٨٧ ، ص ٤٦ ، ٤٧ ،

وكان الإسلام في إمارة التكرور منتشرأ على مذهب الإمام مالك ، ويرجع ذلك إلى الحيز الجغرافي لإمارة التكرور الذي يقع على الضفة اليسري لنهر السنغال ، ويقابل مجال صنهاجة اللثام والذي يقع على الضفة الأخرى لهذا النهر خاصة قبيلة جدالة المالكية^(١) .

ومما لاشك فيه أن الفقهاء والدعاة والتجار كان لهم دور أساسي في تهيئة الأهالي لقبول الإسلام ، وكان دائما يوجد الفقهاء إلى جانب الملك أو الأمير الوثني في تسيير شؤون مقاطعته^(٢) وهذا لا يمثل حالة خاصة وإنما مثل ظاهرة عامه لأننا سنصادف حالات مماثلة في الإمارات الأخرى .

المذهب المالكي في مالي^(٣):

اعتنق ملك مالي الإسلام أيضاً تحت تأثير الدعاة سواء كانوا من أهلها أو من الدعاة البربر الذين استقروا في بلاد السودان الغربي . ويذكر البكري أن سبب دخول ملك مالي في الإسلام يرجع إلى الجفاف الذي عرفته بلاده التي كانت تعتمد في حياتها على الزراعة ، وأن ذلك الجفاف استمر سنوات متتالية ، أهلكت السكان خلالها الكثير من الحيوانات تقرباً إلى أصنامهم لوضع حد لهذا الجفاف ، وقد أعياهم التوسل لتلك الأصنام دون فائدة ، مما شجع أحد الدعاة المسلمين المستقرين في

(١) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٥٩ .

(٢) هناك روايات تؤكد معرفتهم ببعض جوانب الشريعة وأن شريعة الإسلام تحدد عدد الزوجات الشرعيات ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٦٢ .

(٣) تعرف بهالي وملل ، ويقول البكري : يوجد بلد ملل جنوب مملكة غانة في المسافة الفاصلة بين عاصمتيهما ، ويضيف الإدريسي أنها نحو ١٢ مرحلة، أنظر الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٦ ، البكري : مصدر سابق ص ٣٦٦ : Hunwick. J.o :The mid- Fourteenth Century Capital of Mail , the, Journal Of African history ,vol .١٤, No٢ , ١٩٧٣ cambridge university press, pp١٩٥-٢٠٦ .

حاضرة السلطان إلى التدخل بعد أن اشتكى إليه الملك حال بلاده، فربط هذا الداعية نهاية الجفاف باعتناق الملك للإسلام ، ولم يزل يدعو إليه ويظهر له محاسنه ويرغبه فيه "... حتى أسلم وأخلص نيته وأقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه وعلمه الفرائض والسنن . وأمر الملك بكسر الدكاكير وإخراج السحرة من بلاده فأسلم وصح إسلامه وإسلام عقبه وخاصته ، وكان معظم أهل مملكته مشركين ، فسموا ملوكهم منذ ذاك بالمسلماني^(١) . وقد قلده خلفاؤه واقتفوا أثره في الاحتفاظ بالإسلام وإدخال قيمه وتعاليمه إلى بلادهم ، والالتزام بشعائره في إطار المراسيم الملكية لدولة مالي ، وينسب كي زيو إقناع هذا الملك بالعقيدة الإسلامية إلى أحد فقهاء قبيلة لمتونة من قبائل الملمين^(٢) وهي إحدى كبريات تلك القبائل الصحراوية، ومنها كان أمراء دولة المرابطين وكبار قادتها. ويُرجح الدكتور حسين مراد هذا الرأي بقوله : " إن هذا الفقيه الذي كان موجودا في بلاد الملك "يقرأ القرآن ويعلم السنة " كان على المذهب المالكي الذي تدعمه بفضل جهود المرابطين^(٣) .

وهكذا كان حكام مالي علي المذهب المالكي لذلك لا يمكن تصديق رواية المؤرخ الأباضي الدرجيني المتوفى عام (٦٧٠هـ / ١٢٧٢ م) والذي ادعى أن جده علي بن يخلف الذي سافر عام (٥٧٥هـ / ١١٨٠م) إلى مالي هو الذي هدى ملك هذه الدولة إلى الإسلام ، لأن البكري كتب مؤلفه عام (٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) وهذا يعني أن إسلام ملك مالي حدث في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وليس منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ومن هنا أراد

(١) البكري : مصدر سابق ، ص ٣٣٦ . والحقيقة فإن المؤلفين قد اختلفا في اللقب الذي كان ذلك الملك المسلم يجعله "المسلماني - برمندانه " أنظر أبن خلدون : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٩٤ .

(٢) Josephkl_zerBo : Histoire de l, Afrique d , hier a demai, hatier , paris, ١٩٧٢. p١٣٣ .

(٣) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٦٠ . ٧٣ p, cit op, Usman

الدرجيني أن ينسب لجدّه الأباضي المذهب هذا النجاح والسبق الذي حققه داعية مالكي المذهب مجهول الاسم^(١).

وتؤكد طريقة دخول ملك مالي في الإسلام في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي فاعلية أسلوب الدعوة ، وأن هذا الدين انتشر على أساس المذهب المالكي في السودان الغربي من أجل استقطاب الشخصيات المؤثرة إلى الدخول في الإسلام^(٢).

المذهب المالكي في غانة^(٣):

انتشر الإسلام في غانة بفضل جهود الدعاة والتجار المغاربة ، ساعد علي ذلك حكام تلك الدولة الذين كانوا محبين للمسلمين ، فقد كان ملكهم " بسي " محمود السيرة محباً للعدل مؤثراً للمسلمين^(٤).

(١) يستفاد ذلك من رواية البكري حيث يقول : "بأن أسلام مالي حكومة وشعبا كان في منتصف القرن الخامس الهجري ، وليس عام ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، كما يقول الدرجيني ، أنظر الدرجيني ، طبقات المشايخ بالمغرب ، ص ٥١٧ ، ٥١٨ ، حسين مراد : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

Lewlcki ,T : Arabic external sources ,for The history of the Africa to the south of sahara , ٢ed London ١٩٦٩, pp. ٧٢/٧٣

(٢) J, M : Islumisation cit , p ١٤٣ .

usman Muhammad bugE: cit ,op ,p ٧٧ .

(٣) باستقراء المعطيات التي تطرحها المصادر العربية والرواية الشفوية ومقارنتها ، تمكن الباحثون من تحديد الإطار الجغرافي للمنطقة التي تقوم عليها المملكة ، وتم توطينها فيما بين نهري السنغال غربا والنيجر شرقا ، وعلى حدودها الشمالية كانت تتحرك القبائل البربرية الصحراوية ، وفي الفترة التي بلغت فيها مملكة غانة أوج قوتها تمكنت من مد نفوذها جنوبا لكنها لم تلامس مقدمة الغابات الاستوائية ، للمزيد أنظر أحمد الشكري ، الإسلام والمجتمع السوداني ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص ٣٦٣ .

(٤) J, M : L, Islumisation, p ١٤٣ (٤)

وتؤكد الكشوف الأثرية التي أجريت على موقع عاصمة غانة القديمة أن أقدم مساجد العاصمة بنى في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، مع ترجيح وقوع غانة في نهاية طريق القوافل الغربي الذي يربط بين سجلهاسة وغانة^(١) .

فضلا عن ذلك ، كان الإمبراطور يعفى المسلمين من الكثير من التقاليد المفروضة على رعاياه وأهل مملكته والتي قال عنها البكري : "... فإذا دنا أهل دينه منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم ، فتلك تحيتهم له ، أما المسلمون فإنها سلامهم عليه تصفيق باليدين ..."^(٢) .

ولقد شجع هذا الوضع التجار المسلمين على التوافد بكثرة إلى غانة حتى أصبح الجزء الذي يخصهم من عاصمته يحتوي على اثني عشر مسجداً أحدها يجتمعون فيه وبها الأئمة والمؤذنون والراتبون و حملة علم^(٣) .

وهكذا حظي المسلمون بالإيثار في غانة في عهده، ليس فقط لمجرد إعجاب الإمبراطور الغاني باستقامتهم وامتلاكهم للغة مكتوبة تساعده على تنظيم أجهزة الدولة وتنظم العلاقات الخارجية مع الدول الأخرى ، بل كان الإمبراطور يستأنس بهم ويطمئن إليهم ، لذا خصهم بامتيازات كثيرة . فقد ذكر البكري منها أنه " في مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد إليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم

(١) البكري : مصدر سابق ، ص ٣٤٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

Lamin Sanneh : The Origins of Clericalism in West African Islam The Journal of African History, Vol. ١٧, No. ١ (١٩٧٦), Cambridge University

Press p٥١ .

(٣) الادريسع : مصدر سابق ، ص ٤ .

الملك ، وتراجمة الملك من المسلمين ، وكذا صاحب بيت فاله ، ومعظم وزرائه من المسلمين^(١) المغاربة الذين كانوا على المذهب المالكي.

كما أسهمت دولة المرابطين في دعم هذا المذهب في غانة أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، ولتأكيد ارتباط هذه المملكة بمذهب السنة المالكي أعلن ملك غانة تبعيته للخلافة السنية كما أنه أدعى النسب العلوي، ليدعم نفوذه وحكمه في بلاده، وهذا الادعاء يؤكد أن الملك الغاني كان مسلماً سنياً لأنه مجرد إهداء .

والجدير بالإشارة أن الدعوة السلمية للإسلام في السودان الغربي قد أثرت وبشكل جلي في تلك البلاد منذ بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، حيث الانتصار النهائي للإسلام بمذهبه السني المالكي فقد أصبح الدين الرسمي بمذهبه هذا للوحدات السياسية كافة ويعتقه الحكام والمحكومون.

ومن العرض السابق للجهود التي بذلت منذ بداية الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب وحتى أيام المرابطين نجد أن انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي قد سبق قيام دولة المرابطين بزمن كبير . وأما بدايات دخول المذهب المالكي للسودان الغربي فقد كانت أسبق من عصر المرابطين بزمن ليس بالقليل ومع ظهور المرابطين عم المذهب المالكي وانتشر في بلاد السودان الغربي بفضل تحمسهم له .

وبعد أن تم التحديد الزمني لانتشار الإسلام وظهور المذهب المالكي في السودان الغربي، سوف نتحدث الآن عن المرحلة التالية للمذهب في تلك البلاد ، وهي مرحلة الذبوع والانتشار، تلك المرحلة التي شهدت سيطرة دولة مالي على

Usman Muhammad:op,cit,pv٠(١)

Hiskett, M: op,cit,p ٢٣.

معظم مناطق السودان الغربي ، والتي تعقبها مرحلة سيادة المذهب المالكي عندما انتقلت السيادة العسكرية على تلك المنطقة الحيوية إلى دولةُ صنغى الإسلامية .